

بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (1)

التاريخ : الخميس 14 - 3 - 1440 هـ

الدرس الأول من دروس شرح الأصول الثلاث

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها ، و كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

باديء ذي بِدء نشكرُ الله سبحانه وتعالى على ما أنعم وأولى وأعطى وأسدى ، فالحمد لله أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا، سرا وجهرا .

اللهم لك الحمد يا رب على ما وفقت لإنشاء هذا المعهد، نسأل الله عزوجل أن يجعله مباركاً وأن يجعله منارة لنشر التوحيد والسّنة ولك الحمد يا رب أن وفقتَ شيخنا لهذا العمل، ونسألكَ يا الله أن يكون هذا العمل ذُخراً لشيخنا ولنا جميعا في ميزان الحسنات ورفعة للدرجات في الجنات يا رب العالمين .

اللّهم لا تكلنا إلى أنفسنا في إدارة هذا المعهد والقيام عليه طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك

اللهم كُن لنا فيه مُعيناً ومؤيداً يا رب العالمين، وارزقنا الاخلاص يا رَبَّنا، ووفق طلابه لتحصيل العلم النافع والعمل به يا رب العالمين .

والشكرُ موصولٌ لشيخنا الفاضل الموفَّق بإذن الله تعالى، الشيخ أبي الحسن علي الرملي جزاه الله خيراً على ما قدّم وثابر وصبر.

ثُمَّ إليكم أيها الطّلاب الأفاضل، نقولُ لكم: مرحباً بطلاب العلم، مرحبا بوصيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قبلَ الشّروع في المقصود يحسنُ أنْ نُقدِّم بمقدمات:

أولى المقدمات تتعلق بالعلم :

اعلموا رحمني الله وإياكم أنّه لو لم يَكُن من شرفِ العلم وأهله إلا أن الله عز وجل استشهد أهله على وحدانيته لكفى، فقال تعالى :

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ١٨

هؤلاء هم العلماء بالله، العلماء بدينه، الذين يخشون الله عز وجل الخشية الحقيقية الكاملة، هم الذين قال الله تعالى فيه:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨

، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر: ٩

لا يستوون أبدا، وما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم؛ فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ طه: ١١٤

وطلبك للعلم أيها الطالب علامة على أن الله عز وجل أراد بك خيراً، وفضّلك على غيرك من الناس؛ لما جاء في حديث معاوية رضي الله عنه في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من يُرِد الله به خيراً يُفَقّهُه في الدين"

وتَذَّكر دائماً حينَ طلبك للعلم أيّها الطّالب بأنكَ في قُربة تقربك من الله سبحانه وتعالى؛ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: "ومن سَلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سَهّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونهُ فيما بينهم إلا نزلتْ عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " .

وطلب العلم قسمان: منهُ ما هو:

واجبٌ عينيّ: وهو الذي يَتعيّن تعلمهُ على كل مسلمٍ ومسلمة ولا يسعُ أحداً أن يجهله؛ ومن ذلك ما يتعلق بتعلم عقيدته وتوحيده لله عز وجل، فكيفَ يتجنّب الوقوع في الشرك من لا يعرف التوحيد؟ وكذلكَ يجب عليه أن يتعلّمَ ما يتعلق بصلاته وصيامه، وما يتعلق بالزكاة إن كان له مال، وما يتعلق بالحج إذا كان مستطيعا، وكيف يأتي بالعبادة على وجهها من لا يفقهها؟ ولا يتعلمها، ولا يعرف أركانها من مستحباتها، وكيف يبيع ويشتري من لا يعرف فقه البيع والشراء؟

فمن تركَ من ذلك شيئاً؛ استحقَّ العقوبة والاثم لتقصيره !

والقسم الثاني ما هو واجب كفائي، من ذلك معرفة العبادات بأدلتها وتفريعاتها، ومعرفة الشُّبه الحادثة والنوازل المستعصية ؛ وهذا إذا طلبه

البعض سقط الاثم عن الباقين، وإذا لم يطلبوه جميعا أثموا جميعا؛ وبهذا العلم نحافظ على العقيدة والشريعة، لأنه قد تتأثر الشريعة بشبه المخالفين وتأصيلات المبتدعين، قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢ ، لذلك قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (أن طلب العلم أفضل أعمال البدن في هذا الزمن بعد الفرائض) .

ومن المهم جداً في هذا التقديم أن ننبّه طلابَ العلم ِعلى بعض الآداب المتعلقة بالطلب والتي على رأسها بل هو أهمها:

الإخلاص؛ فيبغي الطالب بطلبه للعلم وجه الله والدار الآخرة، لا يرجو ثناء الناس ولا شكرهم ومدحهم، ولا يبغي الدنيا بطلبه للعلم أو يبغي نيل شهادة ليذكر بين الناس، لأن طلب العلم عبادة والعبادة كي تقبل لابد فيها من تحقق للاخلاص لله عز وجل والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

فينوي الطالب بطلبه للعلم : رفع الجهل عن نفسه وعن غيره؛ لأن الأصل في الانسان أنه جاهل، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ النحل: ٧٨

وكذلك يحرص الطالب غاية الحرص على أن يعمل بعلمه، وهذا الذي يساعده على ترسيخ العلم، ومما يُروى عن علي رضي الله عنه قوله: (هتف العلم بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل).

وطالب العلم كذلك ينبغي أن يبلّغ ما علمه، وأن يكون داعياً إلى الله بما عَلِمِه، وعلى الطالب أن يتحلّى بالصبر في ذلك كله، فيصبر على الطلب ولا يكلّ ولا يمل، ويتذكر دائما أنه في عبادة ، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ هود: ٤٩
.

ومن الأسباب التي تُعين طالب العلم في طلبه للعلم تقوى الله عز وجل، وتقوى الله عز وجل وصية الله للأولين والآخرين. قال الله تعالى :﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ النساء: ١٣١
، وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وهي وصية الصحابة والتابعين

وتقوى الله تكونُ بفعل الأوامر واجتناب النواهي، والتقوى يحصل بها زيادة الهدى وزيادة العلم وزيادة الحفظ، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾
البقرة: ٢٨٢
وينبغي على الطالب أن لا يكون متقطعاً في الطلب، بل يكون مداوماً للطلب، إذا فرغ من متن انتقل إلى آخر، وهكذا .

ومما يُستأنس به هنا ما يُذكر عن الكسائي- رحمه الله تعالى- إمام أهل الكوفة في النحو، فقد طلب علم النحو ولم يتمكن ولم يُوَفق، وفي يومٍ وجد نملة تحمل طعاماً وتصعد به إلى الأعلى، وكلما صعدت سقطت وأعادت وثابرت حتى تمكنت، فقال الكسائي رحمه الله تعالى: هذه النملة ثابرت حتى وصلت للغاية، فثابر هو حتى صار إماماً في النحو -رحمه الله تعالى-.

ومن الأسباب المهمة جداً والمعينةُ على نجاح الطّالب واستمراريته؛ الحفظ، فأوصي إخوتي وأحبتي في هذا الصرح المُبارك أن يعتنوا بالحفظ غاية الاعتناء، فإن العلم حقيقة هو المحفوظ، فحقيقة علمك هو الذي تراه في الظلام، وهو الذي يدخل معك الحمام، والله عزوجل مدح هذه الأمة بأن حفظها في صدورها. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ العنكبوت: ٤٩ وصحَّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في سنن الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: "نضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ".

فيجب على طالب العلم حتى يصل إلى مبتغاه أن يحفظ، يحفظ ما سمعه وقرأه.

والحفظ حفظان: حفظ صدر و حفظ سطر.

فحفظ الصدر هو الحفظ عن غيب.

وحفظ السطر هو أن يقيد ويكتب الفوائد وما يحتاج إليه كي يرجع إلى ذلك مرة اخرى .

ومن جميل ما يُنسب إلى الامام الشافعي رحمه الله تعالى قوله:

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

والطالب إذا حفظ المتن و ضبط شرحه فإنه بذلك يكون قد ألمّ بمادة هذا المتن حسب مستواه، لأن المتن على اختصاره يلخص لك المادة كلها ويعطيك زبدة ما تحتاجه حسب المستوى؛ فمن أراد أن يضبط المادة ضبطاً ويتقنها إتقانا يسهل عليه بعد ذلك مراجعتها فعليه بحفظ المتون ومداومة النظر فيها.

واعلموا رحمني الله وإياكم أن الحفظ يشق على الانسان في الأول، يكون شاقاً على الانسان لكن متى ما اعتاده سهل عليه ويجد لذة بعد ذلك؛ فيستعين بالله

عز وجل ولا يعجز، ويترك الخمول والكسل، ويجدّ ويجتهد، وسيعينه الله عز وجل بإذنه ورحمته.

وكان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يقول: قرأنا كثيراً، فلم يبق معنا إلا ما حفظنا. وكان رحمه الله يوصي بحفظ المتون .

من أجل ذلك قالوا:

لذلكم من حفظ المتون * حازونال شرف الفنون**

كذلكم من حفظ الأصول * فقد ضمن الوصول**

ولا يغلب جانب الحفظ على الفهم،

إنّما علمك ما تحفظه *** مع فهم وتوقٍ من غلط

وكذلك يكثر من المراجعة للمفهوم كي يستحضره إذا احتاجَ اليه، ويبقى المحفوظ مستقراً في الصدر، يستحضره متى شاء.

هذا ما يتعلق بالمقدمة الأولى .

المقدمة الثانية : تتعلق بالتعريف بالمؤلف رحمه الله تعالى:

مؤلف رسالة الثلاثة الأصول هو **شيخ الإسلام العالم الرباني والمجدد لما اندرس من معالم الدين الإسلامي: أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى-.**

وُلِد في السنة الخامسة عشر بعد المائة وألف للهجرة (١١١٥ هـ)، في بلدة اسمها العيينة في نجد في المملكة العربية السعودية في بيت علم وشرف ودين.

نشأ في حجر والده رحمه الله، وكان والده قاضياً في البلد وعالما ومدّرساً، نشأ هذا الشاب نشأةً عجيبة، حيث حفظ القرآن دون العاشرة من عمره، وأَمَّ الناس وهو في الثانية عشر من عمره، وبعد ذلك تاقت نفسه للرحلة في طلب العلم، فرحل، وكان يرى الجاهلية المنتشرة في ذلك الوقت، فكانت الناس تعبد الأحجار والأشجار ويعبدون الجن والقبور.

فذهب الى المدينة النبوية وذهب الى العراق، ثم إلى الشام، بعد ذلك بدأ يظهر بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، ورجع الى بلاده وأوذِيَ وأُخرج، ولما كان في الدرعية آزره وأيده محمد بن سعود الأمير ونصره وتبنى دعوته، وبدأت الدعوة من الدرعية.

تتلمذ رحمه الله على عدةِ مشايخ، أبرزهم الشيخ محمد حياة السندي رحمه الله، وله طلاب كثيرون جداً، من أبرزهم أبناءه وأحفاده؛ كذلك له مؤلفات كثيرة عظيمة في فنون شتى، لكن أكثرها يتعلق بالعقيدة والتوحيد، ولعل أعظمها وأهمها: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً ثناءات متتالية؛ فقال عنه العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه *** يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل *** ومبتدع منه فوافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعة هادماً *** مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد.

والإنسان اذا كان على الحق فاعلموا رحمكم الله أن له أعداء وخصوما، فما سَلِم من ذلك حتى الأنبياء والمرسلون؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ الفرقان: ٣١

.

حَسَدوا الفَتى إِذ لَم يَنالوا سَعيهُ *** فَالقَومُ أَعداءٌ لَهُ وَخُصومُ

كَضَرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِها *** حَسداً وَبَغياً إِنَّهُ لَذميمُ

تُوفِّي الشيخ محمد رحمه الله تعالى في السنة السادسة بعد المائتين وألف للهجرة رحمه الله (١٢٠٦ هـ) .

والخلاصة أن هذا هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، إنما قام لإظهار دين الله وإرشاد الناس إلى توحيد رب العالمين وإنكار ما أدخل الناس فيه من البدعِ والخرافات، وقام أيضا لإلزام الناس بالحق وزجرهم عن الباطل، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولا زلنا نتفيأُ ظلالَ دعوته - رحمه الله - إلى هذه الساعة المباركة. فنسأل الله عزوجل أن يجعلنا واياه في أعلى عليين .

ومن أراد الاستزادة من سيرة هذا العَلَم ؛ فليرجع إلى رسالة بعنوان: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته لمؤلفها الشيخ: عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

المقدمة الثالثة وهي متعلقة بالتعريف بالمؤَلَّف:

التعريف بهذه الرسالة: هذه الرسالة جليلة مختصرة قليلة المبنى كثيرة المعنى، مؤيدة بالأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي في أصل عظيم من أصول الاسلام وهو العقيدة، والعلماء منذ القدم يهتمون بهذه: يؤلفونها ويتعبون على اختصارها، ثم يُحفظونها لطلبتهم ويشرحونها لهم لتبقى أصولا عندهم يستفيدون منها ويفيدون غيرهم.

والبداءة بهذه المختصرات هو الأساس لطالب العلم، فطالب العلم يبدأ بالتعلم شيئاً فشيئا، يأخذ من مبادئ العلم وأصوله ويتدرج في ذلك، فالمختصرات طريق المطولات، فلا يمكنك يا طالب العلم فهم المطولات إلّا بعد فهم المختصرات.

قال الله عزو جل: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩

والرَّباني هو **الذي يُعلّم صغار العلم قبل كباره**، والعلماء يربون أنفسهم وطلابهم ابتداءً من المسائل الصغيرة إلى المسائل الكبيرة، وهذا شيء واضح؛ فإن كلّ الأشياء

تبدأ من أصولها وأساساتها ثم تكبر وتعظم بعد ذلك، وأمّا ذلك الذي يهجم على العلم هجوماً من أعلاه هذا يتعب ولا يُحَصّل شيئاً، بينما تجد ذاك الذي بدأ بالتأصيل بأصول العلوم ومختصراتها وتَدرّج في العلوم انتفع جدا ووصل بإذن ربه إلى مبتغاه.

عنوان هذه الرسالة : **الأصول الثلاثة.**

والأصول : جمع أصل؛ والأصل: ما يبنى عليه غيره، وهذه الأصول بُني عليها دين الإسلام بالكامل.

هذه الأصول باختصار هي أسئلة القبر، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقد ورد ذكر هذه الأسئلة في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي ذكره إن شاء الله .

وتكمن أهمية هذه الأصول بكونها تتعلق بأعظم أصول الاسلام، فهي تتعلق بالعقيدة والعقيدة هي الأساس، وعليها يبنى العمل .

العقيدة: في اللغة: مأخوذة من العقد والربط والشد بقوة.

وفي الاصطلاح: ما يعقد عليه القلب.

وبينها وبين المنهج عموم وخصوص؛ فإن المنهج هو الطريق الواضح، نقول: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم. أي: طريقه.

فبين العقيدة والمنهج عموم وخصوص ، فالعقيدة من المنهج، والمنهج أعمّ منها، فإن المنهج يدخل فيه العقيدة ويدخل فيه الأخلاق، يدخل فيه الفقه، إلى غير ذلك.

وقد يراود طالب العلم سؤال فيقول: لماذا ندرس هذه الرسالة دون غيرها؟

وللإجابةِ على هذا التساؤل نقول: نحن ندرس الأصول الثلاثة.

أولا: للإجابة على أسئلة القبر الثلاثة، وإذا أجبت على هذه الأسئلة وثبتك الله عز وجل حينها فقد فزت، ولا يثبت الله في ذلك الموقف الا الذين آمنوا ، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ إبراهيم: ٢٧

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتني وإياكم بالقول الثابت في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة

- وندرس هذه الأصول كذلك؛ لأنّها مشتملة على أدلة هذه الأصول، على أدلة هذه الأسئلة، الأسئلة الثلاثة -من ربك وما دينك ومن نبيك-
- وكذلك ندرسها لنصيحة العلماء واعتنائهم بها، فقد نصحوا بهذه الرسالة واعتنوا بها تحفيظاً وشرحاً.
- وكذلك لأن الله عزوجل وضع لها القبول في الأرض.
- ولأنها مختصرة وواضحة.

ومن الأمور التي نذكرها قبل أن نبدأ بمادة الرسالة هي أنه يمكننا فهرسة الرسالة وتقسيمها وهذا يساعد على الإلمام بها وتصورها مبدئيا، وسنقسمها الى النحو التالي:

إلى مقدمة : واشتملت المقدمة على أمور ثلاثة:

- **أولها المسائل الأربعة المذكورة في سورة العصر.**
- **ثاني الأمور: ثلاث مسائل يجب تَعلّمها والعمل بها، واشتملت على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء.**

- **ثالث الأمور في المقدمة: الغاية من دراسة التوحيد .**

ثم دخل المؤلف إلى أصل الرسالة وتطرق إلى بيان الأصول الثلاثة، وهي معرفة الله عز وجل ومعرفة دين الاسلام بالأدلة ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم .

ثُمَّ ختم رسالته بخاتمة وهذه الخاتمة تبدأ من البعث بعد الموت إلى آخر الرسالة، واحتوت على أمور مهمة تأتي في محلها بإذن الله تعالى .

نحن دراستنا لهذه الرسالة ليس بالشيء العسير، سنيسر قدر المستطاع بدون إخلال إن شاء الله، وسيكون مناسباً جداً لطالب العلم المبتدئ، ولن نأتي بشيء جديد من عندنا ؛ إذ لا جديد في العقيدة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، عقيدة النبيين والمرسلين، عقيدة الصحابة والتابعين، عقيدة الأئمة المجتهدين، ولن يخرج شرحنا لهذه الرسالة على شرح مشايخنا المعاصرين ، رحم الله من مات منهم، وثبت الله من بقي منهم، ونفعنا بعلومهم وهم من يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ الأحزاب: ٢٣

فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.

وسيلاحظ الطالب خلال هذه الدروس أننّا نركز كثيراً على أمور، فعليهِ التركيز عليها هو كذلك، وحفظ ما استطاع منها، وهي أمور خمسة:

- ✓أول هذه الأمور: التعريفات، وبها يعرف معنى اللفظ ويخرج عنه غيره.
- ✓ثاني هذه الأمور: الأدلة، وهذا ما نلاحظه عند دراستنا لهذه الرسالة وغيرها إن شاء الله، وهذا الذي يجب أن يعتاده طالب العلم ألّا يعمل عملا إلّا بدليل من كتاب أو من سنة.
- ✓ثالث الأمور: التقاسيم، ضبط التقاسيم فإنّه يحصر لك العلم، ويمرّ معنا في هذه الرسالة كثيراً.
- ✓رابع الأمور: الفروق، وهو معين جداً على ضبط العلم وفهمه وبه تفرق بين التقاسيم.
- ✓خامس الأمور وهو آخرها: الضوابط، وهذه تعين على ضبط الامور خصوصاً المُشكِل منها.

وكمثال على ما سبق:

سيمر معنا بإذن الله تعالى دراسة الشرك وسنُعرّفه؛ **نعرف معنى الشرك، ونذكرُ الأدّلة على أنّ الشرك مُحبطٌ للعمل، ونذكر كذلكَ أنّه ينقسم الى قسمين : أصغر و أكبر، ونذكر الفرق بين قسميه الأصغر والأكبر، ونعطي ضوابط تعرف من خلالها الشرك الأكبر وتعرف من خلالها الشرك الاصغر.**

فهذه الأمور الخمسة مُهمّة وستمر معنا كثيراً، وإذا ضُبطت، إذا ضبطتها أيّها الطالب في ذهنك ستبقى صورتها عالقةً في الذهن لا تُغادره بإذن الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر من المُقدمات بين يدي هذه الرسالة العظيُمة، وسنشرع في المقصود في الدرس القادم إن شاء الله تعالى .

سبحانك اللّٰهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك.



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني (أبي عبد الله)

الدرس رقم (2)

التاريخ : الخميس 21 - 3 - 1440 هـ

الدرس الثاني من دروس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أمّا بعد: فهذا هو المجلس الثاني من مجالس شرحِ الأصول الثلاثه، التي نسأل الله عز وجل أن يرزقنا فيها الإخلاص والقبول؛ وأن يوفقنا ويسددنا فيما نقول .

كنا في الدرس الأول قدمنا بمقدماتٍ قبل الشروع في هذه الرسالة المباركة التي نفع الله بها خلقاً كثيراً، ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بها جميعاً، وأن يرفعنا بها في الجناتِ درجات.

وكنّا قد ذكرنا أنّ هذه الاصول الثلاثه باختصار هي أسئلة القبر الثلاثه: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟

هذه الأصول متعلقةٌ بأصلٍ عظيمٍ من أصول الدين: أَلا وهو العقيدة؛ و**العقيدة** عرّفناها وقلنا أنّها مايُعقد عليه القلب، أو بعباره أخرى هي: **حكم الذهن الجازم** .

خرج بقولنا حكم الذهن قول اللسان ، فإنّه لا يُعتبر عقيدة فإنّ المنافق يقول بلسانه ما لا يعتقده قلبه، فلا تكون عقيدةً له.

وخرج كذلك بقولنا الجازم الشك، فإن الشاكّ غيرُ معتقدٍ حقيقة ؛

هذه العقيدة إن طابقت الواقع كانت عقيدة صحيحة، وإن خالفت الواقع كانت عقيدة باطلة.

وكمثالٍ على هذا : اعتقاد النصارى أنّ الله ثالث ثلاثة فإنّ هذه تعتبر عقيدة، هي عقيدة لهم لكنّها مخالفة للواقع، فتكون عقيدة باطلة، عقيدة فاسدة.

وذكرنا كذلك أنّ العلماء اعْتنَوا بهذا المختصر (الاصول الثلاثة) تحفيظاً وشرحاً لطلابهم لأمور ذكرنا منها :

- **معرفه هذه الأصولِ أي: الأصول الثلاثه بأدلتها، وهذا يمكّنكَ من الإجابه على أسئله القبرِ بإذن الله.**
- **وكذلكَ اعتنى بها العلماء لأنّها مُختصرة وواضحة.**
- **ولأن اللهعزَّوجل وضع لها القبول في الأرض.**

درسنا لهذه الليلة بإذن الله في التعليق على الجزء الأول من المقدمة التي قدّم بها المؤلف - رحمه الله - بين رسالته، ونحن كنّا قد قسّمنا المقدمة إلى ثلاثة أجزاء، وقلنا أنّ الجزء الأول: وهو ما يتعلقُ بالمسائل الأربعة المذكورة في سورة العصر، هذا الذي سنتطرق إليه الليلة إن شاء الله.

قالَ المولف -رحمه الله-: **[بسم الله الرحمان الرحيم] :**

ابتدأ المؤلف رحمه الله رسالته بالبسملة **اقتداءً بالكتاب والسنة** ، فإنّ كتاب الله عزَّ وجل يبتدئ بالبسملة ، أول ما تفتح المصحف وأول ما يقعُ عليه نظرك إليه البسملة، ونبي الله سليمان عليه السّلام ابتدأ كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ بالبسملة. { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) } سورة النمل .

ومن السنة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يبتدئ رسائله الى الملوكِ بالبسملة، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري.

(الباء) في بسم حرف جر، و**اسم**: اسم مجرور بالباء .

والجار والمجرور أي (بسم) لا بدَّ له من مُتَعلَّق يتعلق به ويبين معناه، والمتعلَّق في البسملة نقدّره فعلا محذوفًا موخراً مناسباً للمقام؛ تقديره حَسْب المُراد الذي يكون في الجملة، فإذا جئت تكتب وقلتَ (بسم الله) فمعناها بسم الله أكتب أو بسم الله أُصنّف أو اكتب مُستعيناً بالله، وحينَ الأكل اذا قُلتَ (بسم الله) قبل البدء في الأكل يكون تقدير الفعل المحذوف بسم الله آكل، أو آكل مستعيناً بالله.

(والله) عَلَمٌ على الباري سبحانه وتعالى وهو الذي تتبعه جميع الأسماء ولا يُسمى به غيره.

وهو مشتقٌ من (أَلَه ،يألهُ ،إلاهة) ، وهو المألوه أي: المعبود محبة وتعظيماً.

(الرحمن) ذو الرحمة الواسعة العامّة، وهو من الأسماء الخاصة به سبحانه وتعالى، ولا يُسمّى بهذا الاسم غيرهُ.

(الرحيم) ذو الرحمة الواصلة الخاصة بالمومنين قال الله تعالى: { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} .

وأمّا الحديث الوارد في ذلك: (كلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر) أو: (أقطع) فهو ضعيف لا يصح، وقد ضعّفهُ الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل .

قال المؤلف رحمه الله : **[اعلم رحمك الله]**

المؤلف أتى هنا بكلمة [اعلم] لإثارة الانتباه وكلمة اعلم فعل أمر من العلم، فهو يأمرك بأن تَعْلَم وتجزِم بما سيُلقى عليك، ولا يكن شكٌّ عندك في ذلك.

[العلم]: هو إدارك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، أو نقول : إدراك الشيء حسَب ما هو عليه في الواقع ادراكاً جازماً.

وضدُّ العلمِ الجهلُ.

والجهل قسمان : **بسيط ومُركّب** .

- الجهل البسيط : هو عدم الإدارك بالكلّية.
- وأمّا الجهل المُرَكّب: فهو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.

وأمّا قول المؤلف - رحمه الله-:

[رحمك الله] لأنّه قال : "اعلم رحمك الله " فهو دعاءٌ بالرحمة ، وهو يتضمن التوفيق للعمل فيما يُسْتَقبَل، والمغفرة فيما مضى من الذنوب. وإذا اقترن الدعاء بالرحمة والمغفرة كأن يقول لك مثلاً: رحمك الله وغفر لك اقترن الدعاء بالرحمة والمغفرة؛ فإنّ معنى الدعاء بالرحمة في هذه الحالة وهذا الإقتران هو التوفيق للعمل فيما يُسْتقبَل.

هذا الدعاء هو تَلَطّفٌ من الشيخ -رحمه الله - مع الطالب فهو يدعو لكَ بالرحمة، وهذا الدعاء من هذا العالم الجليل والرجل الصّالح أَرْجى للقبول إن شاء الله، ونسألُ الله عزَّ وجل أن يرحمنا جميعاً برحمته.

ومن **صفاتِ العلماء الربانيين** أنّهم يحسنون تربية طلابهم، ويربونهم على الأخلاق الفاضلة، وهم أشدّ حرصاً لنفع النّاس؛ وأمّا الشِّده الزائدة والغِلظه والفظاظة؛ فليست من أسلوب العلماء والدعاة الى الله عزَّ وجل، قال الله سبحانه وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.

قال المؤلف -رحمه الله- بعد ذلك : [أنه يجب علينا تعلم أربعة مسائل] .

الواجب في اللغة : هو اللازم والساقط.

وأمّا في الاصطلاح : فهو ما أمرَ بهِ الشرع على وجه الإلزام. أو نقول : ما يُثاب فاعله ويستحق تاركه العقاب .

فالمؤلف يقول لكَ : يجبُ عليكَ أن تتعلم هذه المسائل وجوباً لا نفلا؛ فإن لم تتعلمها وقصّرتَ في ذلك فإنك مستحقٌ للعقوبة والاثم .

والواجب كما مرَّ معنا في الدرس الأول منه ما هو كفائي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يفعلوه جميعاً أُثِموا جميعا .

وقسِيم الواجب الكفائي؛ قسيمه الاخر هو :

(الواجبٌ العينيّ) وهو: ما يلزم كلّ واحد بعينه، أي بنفسه.

والوجوب الذي ذكره المؤلف -رحمه الله - لأنّه قال أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل هو الوجوب لجميع المسلمين والمسلمات، المُكلّفين والمُكلّفات، لا على طلاب العلم فقط.

لا ؛ يدخل في الوجوب الجميع *فرض عين*

وأما قوله (تَعَلُّمَ) فإنه التعلُّم هنا لا مجرد القراءة ، لا بدَّ في التَعلُم من الحفظ والفهم .

وقوله : (أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل) : المسائل من المسألة ، والمسألة من السؤال أي المباحث و المسألة هي : ما يُبرْهن عليه في العلم .

ثم قال- رحمه الله -: [الأولى]

أولى هذه المسائل [العلم] ؛

فالمسألة الأولى التي يجب تعلُّمها من هذه المسائل الأربع هي العلم .

وقد سبق تعريف العلم وقلنا : هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع إدراكاً جازماً. من غير شك .

هذا العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الأسلام بالأدلة .

قال المولف- رحمه الله-: [العلم]

المسألة الأولى العلم وهو معرفة الله ، فهذه السّماء ، وهذا الليل والنّهار ، وهذهِ الجبالُ والبحار ، وغيرُ ذلك من مخلوقاتِ الله وآياته؛ كلُّ ذلك لا يمكن أن يكون وُجِد من غير موجد، لا بُدَّ له من مُوجد ؛ وهو الله سبحانه وتعالى

وقد قِيل لِأَعرابي: بمَ عرفت ربك ؟قال: سبحان الله! البعرة تدلّ على البعير والأثرُ يدلّ على المسير ، فبحار ذات أمواج وجبال ذات فِجاج ، وليلٍ داج أَلا يدلُّ ذلك على وجود اللطيف الخبير !

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : معرفه الله قسمين : عامّة وخاصّة

- **المعرفة العامّة : هي الإقرار به والتصديق والإيمان**
- **وأمّا المعرفة الخاصة: وهذه تقتضي مَيْلُ القلب بالكلية إلى الله، والانقطاع إليه، والأُنس به والطمأنينة بذكره، والحياءَ منه، والهيبه لهُ.** انتهى كلامه رحمه الله

هذهِ المعرفة الخاصّة هي التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم " تَعَرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشِّدة "

والمعرفة العامة هي: المقصودة في قول المؤلف -رحمه الله - *معرفة الله* هذه المعرفة بالله تقتضي منكَ الإيمان باللهِ عزَّوجل والانقياد لأوامره والبعد عن زواجره .

ثمَّ معرفة نبيّه صلى الله عليه وسلم :

وهو محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم أرسلهُ الله إلى النّاسِ كافّه فتعرف اسمهُ ، وتعرِف نسبه ،ومَوْلدهُ ،وموطنه الذي عاشَ فيه وشَرْعهُ الذي جاء به فتتبعهُ ولا تبتدع .

ثُمَّ معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلة .

الإسلام لغة : هو الاستسلام. أي : الانقياد .

وأمّا في الشرع : فإن الإسلام يُطلق على معنيين :

معنىً عام : وهو كما عرّفه العلماء هو: الاستسلام لله بالتوحيد ،والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهلهِ . وبتفسير آخر هو التعبُّد لله بما شرع منذ أن أرسلَ الله الرسل إلى أن تقوم الساعة قال تعالى : {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }

وقال تعالى : { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَاۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (١٢٨) سورة البقرة

فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى صلى الله عليه وسلم ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى هو المعنى العام للاسلام .

وأمّا الإسلامُ بالمعنى الخاص فهو **الإسلامُ الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم** ، فلا دين إلّا دين محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ فإنّ الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم نسخ جميع الأديان التي كانت قبله؛ فصار من اتّبعه مسلما ومن خالفه ليس بمسلم. قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران٨٥

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى ((بالادلة)) :

يعني معرفةُ هذه الأمور بالأدلة، والدليل هو المرشد للمطلوب؛ فمعرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام تكون بالأدلة، لا تكون بالهوى، ولا تكون بالتقليد .

وهذه الأدلة تنقسم إلى قسمين:

- **أدلة عقلية: وهو ما يثبت بالعقل والتفكّر.**
- **وأدلة سمعية: وهي نصوص الكتاب والسُّنة.**

معرفة الله عز وجل تكون بالأدلة العقلية كما مرَّ معنا وذلك بالتأمل في آياته ومخلوقاته وتكون كذلك بالأدلة السمعية آيات الكتاب والسنة .

معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون كذلك بالأدلة العقلية لذلك أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم معجزاتٍ، واعظم معجزاته القرآن الكريم وهي باقية، فمن قرأ القرآن وتفكر فيه وتأملَّ فيه وتدبّر عَلِم بأنّه ليس بكلام للبشر ، وتكون كذلك معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة السمعية، أدلة الكتاب والسُّنة .

أمَّا معرفة دين الإسلام فهذه لا سبيل لمعرفتها بالعقل؛ لا بُدَّ فيها من نص .

لا رأي في الدين ولا إستحسانا *** فالله قد أكمله بيانا

هذا فيما يتعلقُ بالعلم.

المسألةُ الثانية : هي العمل به.

أي: العمل بالعلم، فيجبُ عليك أنْ تعمل بما علمت، فإذا علمت أنّ الله عزوجل واحد في ربوبيته فهو الخالق الرازق المدبر؛ فلا تسألُ الرزق إلّا من الله عز وجل ولا يتعلق قلبك بغيره أبداً؛ وإذا عَلِمتَ أنّ الله واحد في ألوهيته ولا يستحق العبادة معه غيره فلا تعبد مع الله أحدا لا ملكاً مُقَرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، وإذا علمت أنّ لله الاسماء الحسنى وأنّ الله سميع أحاط سمعه كلّ المسموعات، "ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير"؛ فيجبُ عليك أن تعمل بهذا العلم فتحذر أن تقول كلاماً لا يرضاه الله فإنّه يسمعُ السِرْ وأخفى.

واذا عرفت أنّ الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً لهذه الأمة فيجبُ عليك العمل بذلك، ويجبُ عليك اتباعه فيما امر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا تعبد الله عزو جل الاّ بما شرعه صلى الله عليه وسلم، واذا عرفت بأنّ دين الإسلام هو دينك فيجب عليك أن تعمل بهذا الإسلام فتستسلمُ لله بالتوحيد وتنقاد له بالطاعة وتتبرأ من الشركِ وأهله .

والعمل هو الثمرة المطلوبة من العلم، في الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، منها: عن علمه فيما فعل)) أخرجه الترمذي وصححه الألباني رحمه الله، وقال علي رضي الله عنه ((هتفَ العلم بالعمل فإن أجابهُ وإلا ارتحل))

وقال أخر: وعالم لم يعملن بعلمه **** معذب من قبل عباد الوثن

المسألة الثالثة: هي الدعوة اليه؛

الدعوة الى هذا العلم الذي علمته فإذا منَّ الله عز وجل عليك أيها الطالب بالعلم والعمل فإنّه يجب عليك الدعوة إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فتدعو الناس

الى ما عرفته من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، تدعوالناس إلى الإسلام الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات ، تدعوالناس إلى الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وإتّباعه، قال تعالى ((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))النحل ١٢٥

وقال تعالى((قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)) يوسف

وقال تعالى((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ..))ال عمران ١٨٧

وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: ((فوالله لان يَهْدي الله بك رجلاً واحدا خيرٌ لك من حُمْر النّعم))والحديث أخرجه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تَبعه لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئا)) والحديث عند مسلم؛ فالدعوة إلى الله واجبة كلٌّ على القدر الذي يستطيعه وحسب علمه، فالدعوة إلى الله تجمع بين اللين والرفق، وتكون على بصيرة بحال الدعوة وحال المدعو، وتكون المجادلة بالتي هي أحسن الاّ الذين ظلموا وعُلم منهم العناد والكبِر فهؤلاء معهم حال آخر، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)))النساء

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

إذا فعلتَ كلّ هذا أيهّا الطالب، ايهّا المسلم

إذا تعلّمت وعملت ودعوت وكنت مقتفياً سنن النبيين والمرسلين ؛ فاعلم أنه لابد أن يصيبك الأذى ، فإنّ الذي يمنع الناس شهواتهم وأهوائهم يؤذونه إمّا بأفواههم أو بأفعالهم

فحينئذ يجب عليك أن تصبر، والصبر واجب ، وهو أهم المهمات وقد أمر الله به في آيات كثيرة ، ومدحه ومدح أهله

من ذلك قول الله تعالى (((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ)))الأحقاف ٣٥

وقال تعالى (((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)))الزمر١٠

وقال اللهُ سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (((وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)))الانعام٣٤

فيصبرُ في هذه الأمور كلّها؛ فيصبر على التَعلّم وعلى العمل وعلى الدعوة في سبيل الله .

والصبرُ في لغة العرب: هو الحبس

وفي الشرع: حبسُ اللسان عن التشكي والتضجر والنفس عن الجزع والجوارح عن لطم الخذود .

والصبر ينقسم إلى ثلاثة اقسام:

١- صبر على الطاعة حتى يُؤديها فانت تصبر على أن تصلي الصلاة في وقتها وتؤدي الزكاة المكتوبة وغير ذلك من الطاعات، هذه الطاعات لا بد لها من صبر .

٢-والقسم الثاني:من أقسام الصبر صبر على المعصية حتى تتجنبها فأنت تصبر ولا تكذب ولو كان الكذب في نظرك سينجّيك.

٣-القسم الثالث:من أقسام الصبر صبر على أقدار الله المؤلمة. فيصبر الإنسان على الفقر إذا كان فقيرا ويحتسب الأجر من الله عز وجل .

والدليل على هذه المسائل الأربع قال المؤلف رحمه الله تعالى:..(((وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)))العصر

المؤلف -رحمه الله - يربي الطالب على الدليل، المؤلف رحمه الله كما أشرنا في الدرس الأول شديد الحرص على الدليل ؛ فهو لا يقول شيئا إلّا ويعقبه بالدليل وسيمرّ معنا هذا كثيرا في هذه الرسالة ، وفي رسائله الأخرى إن شاء الله، **وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة فإنهم يبنُون عقائدهم على الدليل ، لا على التقليد، ولا على إعمال العقل وتعطيل النقل**؛ فاستدل المؤلف رحمه الله على هذه المسائل الأربعة التي ذكرها بسورة العصر ،

والواو: في قول الله تعالى: «والعصر» : حرف قسمٌ ؛ وحروف القسم ثلاثة : وهي الواو، والباء، والتاء، فتقول :والله، وتقول بالله، وتقول تالله.

والله عزوجل هو الصادق وإن لم يُقسِم، ولكن القسم هنا للتأكيد، والله عزوجل له أن يُقسم بما يشاء ؛ وقد أقسم بالسماء ، وأقسم بالشمس وضحاها ، وبالليل إذا يغشى وغير ذلك كثير؛

وهذا القسم بهذا المُقسَم به لبيان عظمة الشيء المحلُوف به من مخلوقاته ؛ لكن المخلوق ليس له ذلك فلا يُقسم إلّا بالله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرَك) والحديث عند ابي داوود وقد صححه الألباني رحمه الله

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه :(إنّ الله ينهاكم أن تحْلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلِف بالله أو ليَسْكت)

ولا يأتينا آتٍ ويقول لنا الله عز وجل يُقسِم بمخْلوقاته فنحن كذلك لنا أن نُقسم بالمخلوق ،

فنقول له : لا ؛ أنت لا تقِس نفْسك على خالِقك ، فالله عز وجل هو سيّدُك أمرك ألا تُقسم بغيره ؛ فيجب عليك امتثال أمره

والعصرُ الذي أقسم الله به أختلف في معناه على عدة معاني أشهرها :

هو وقت صلاة العصر المعروفة ، من نهاية وقتِ صلاة الظُهر إلى دُخول وقت صلاة المغرِب

وقال آخرون : هو الدّهر والزمان كلّه الذي هو محلّ العمل ، محل تحصيل الحسنات أو السيّئات

والقَسم الذي في قوله: والعصر لا بدّ فيه من جواب القسم، **وجوابه هنا في السّورة قوله تعالى :« إنّ الإنسان لفي خُسر»**

وجواب القسم جاء مؤكدا ب (إنّ) ، وجاء مُؤكدا كذلك باللام في قوله (لَفي) ؛

فاجتمعت ثلاثة مؤكدات في هذا المحل ؛ وهي القسم ، وإنّ ، واللّام .

وهذا الأسلوب يصلُح خطابا لمن كان يُنْكر هذا الأمر ؛

وفي قول الله تعالى : « إن الإنسان» ؛ أي جنس الإنسان ؛ كلّ الإنسان ؛ فهي تفيد العموم وتشمل جميع جنس الإنسان ؛ كلّهم في خُسران **إلاّ من استثناه الله عز وجل بعد ذلك وهم :**

« الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فجمعوا بين الإيمان القلبي وبين العمل بالجوارح ،

« وتواصوا بالحق » ؛ أي أوصى بعضهم بعضا بالإيمان بالله وطاعته ،

« وتواصوا بالصّبر» أوصى بعضهم بعضا بالصبر؛

واستدلال المؤلف رحمه الله على وُجوب العلم في سورة العصر من قوله : « إلا الذين آمنوا » **فإن الإيمان هو التصديق** ؛ لكن بأي شيءٍ تُصدق وبأيّ شيءٍ تؤْمن ؟ فهذا الإيمان ؛ **هذا التصديق مسبُوق بعلم**، سُبِق هذا الإيمان بعلم ؛ **فأنت تُصدق وتؤمن بما علمته وتيقّنته ، فالعلم قبل القول والعمل** لذلك استنبط الشيخ رحمه الله ؛ وهذا من دقيق فهمه -رحمه الله-

العلم : من قوله تعالى :«إلا الذين آمنوا »

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في- مدارج السالكين - : ("أقْسم الله سبحانه أنّ كلّ أحدٍ خاسرٌ إلا من كمُلت قوتُه العِلمية بالإيمان وقُوّته العملية بالعمل الصالح ، و كمَّل غيره بالتّوصية بالحق والصبر عليه ؛ فالحق هو الإيمان والعمل ولّا يتمَّان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما "

قال الشافعي رحمه الله تعالى : " لو ما أنزل الله حجةً على خلْقِه إلّا هذه السورة لكفتْهم ؛ "

الشافعي رحمه الله هو : محمد بن إدريس أحدُ الأئِمة الأربعة أصحاب المذاهب المُتبعة المتوفى سنة أربعٍ ومئتين للهجرة ٢٠٤ هـ

ينتهي نسبُه إلى بني المُطلب من قُريش ؛ وهذا القولُ عزاه الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله - لمناقِب الشافعي للإمام البيهقي رحَمه الله

الشافعيُ رحمه الله قال ذلك، قال هذا القول لأنّ هذه السورة فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة ؛ والقرآن كلُّه هو تفصيل لهذه المسائل الأربعة ، وليس معنى كلام الشافعي أنّ هذه السورة تكفي وتُغني عن القرآن كلِّه ! لكنها كافية في إقامة الحجة على بني آدم .

ثم قال المؤلّف رحمه الله: (وقال البخاري رحمه الله تعالى : بابٌ : العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى :«فاعلمْ أنه لا إله إلا الله واسْتغفِرْ لذنبِك » ؛ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

البخاري : هو محمد بن إسماعيل البُخاري أبو عبد الله ، إمام أهل الحديث وجبلُ الحِفظ ، صاحب الصحيح الذي هو أصحُّ الكتب بعد كتاب الله تعالى ، المُتوفى سنة ستٍ وخمسين ومِئتين للهجرة .

وقوله باب العلماء رحمهم الله يقولون : (أنّ فقه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في تبويبه للأبواب) فإذا قرأت عنوانا فإنك تأخذ من ذلك أمورا كثيرة

قال البخاري رحمه الله : [بابٌ] العلمُ قبل القولِ والعمل)

فإن العمل لا ينفع إلا إذا كان مبْنيًا على علم ؛ والعمل الذي يُبْنى على جهل لا ينفع بل قد يضُر

واستدل على ماقاله رحمه الله بالآية :«فاعلم أنّه لا إله إلا الله واستغْفِرْ لذنْبك »

ووجه الاستدلال من الآية قوله : (فاعلم) : هنا العلم ، وقوله (واستغْفِر) : العمل

(فبدأ بالعلم قبل القول والعمل) : لأنّ قول اللسان عمل ؛ فالاستغفار عملٌ ؛

فلا يتصدى أحد لدعوة الناس إلّا بعد العلم ، ولا يتصدى العابد إلى عبادةٍ إلا بعد العلم ؛ فالعلم قبل القول والعمل ، والذي يعمل بغير علم يفسد أكثر مما يُصْلح ويكون فيه شبهٌ من النصارى

بخلاف اليهود فإنهم يعلمون ولا يعملون فلذلك أمرنا الله عز وجل أن نسأله أن يُجنِّبنا صِراطهم فقال تعالى : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) الفاتحة

والمغضوب عليهم في الآية هم اليهود لأنهم عَلِموا ولم يعملوا

والضالون : هو النصارى لأنهم يعملون من غير علم

والله عز وجل أمرنا أن نسْلك طريق المُنعم عليهم الذين يعلمون ويعْملون .

فانت يا أخي الفاضِل ترى بأنّ المُؤلف رحمه الله يُمهِّد للأصول الثلاثة ، وقبل أن يسْرُدها أتى بهذه المسائل الأربعة ، وبدأ بتفصيلها وبدأ أول ما بدأ بالعلم وفسَّره بالعلم بالأصول الثلاثة، بِأن تعلم من ربّك؟ وما دينُك ؟ ومن نبيُّك ؟

فالمؤلّف - رحمه الله - يُنبِّه طالب العلم أن العلم مهمٌ للغاية حتى إنه قبْل القولِ والعمَل

وهذا العلم هو الذي يُنجّي به نفسه بفضل الله جل وعلا إذا سئل عن هذه المسائلِ الثلاثة.

هذا ماتيسر لناَ في هذا الجزء الأول من المُقدّمة ، نسأل الله الإعانة والتيسير.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليه .



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (3)

التاريخ : الخميس 28 - 3 - 1440 هـ

الدرس الثالث من دروس شرح الأصول الثلاثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

مرّ معنا في الدرس السابق ذكر المسائل الأربع التي وردت في سورة العصر والتي يجب على الإنسان إذا أراد نجاة نفسه، وأن لا يكون من الخاسرين أن يتعلّمها وهي:

[العلم، والعمل، والدعوة، والصبر]. وذكر المؤلّف رحمه الله أنّ العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيّه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ فيعرف ذلك كلّه بالأدلة لا بالتقليد ولا بالهوى.

وذكرنا كذلك تعريف الإسلام بمعناه العام وبمعناه الخاص، وممّا يُعلم هنا أنّ دين الأنبياء كلّهم من أوّلهم إلى آخرهم هو الإسلام، وأنّ الله تعالى لن يقبل من أحدٍ غيره؛ قال الله تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ، وجاء في الصحيحين؛ صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء إخوة لعَلاَت، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد)، وإذا كان ذلك كذلك فيمكن أن نقول في تعريف الأسلام بمعناه الخاص هو: **الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.**

لأنّ المعنى الخاص يدخل في المعنى العام، فإنّ دين محمد صلى الله عليه وسلم هو دين جميع الأنبياء؛ دينهم واحد، فلا يأتي أحد فيقول: أنا مسلم على دين موسى عليه السلام، ويقول آخر: أنا مسلم على دين عيسى عليه السلام، ويقول لنا: أنا مستسلم لله بالتوحيد، مُنقاد له بالطاعة، مُتبرّأ من الشرك وأهله؛ لكن هو غير متبعٍ لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ متبعٌ لرسولٍ غير محمد صلى الله عليه وسلم، وقلنا فيما سبق أنّ أتباع الرسل مسْلمون في زمن رُسُلهم، أمّا بعد بعثة

محمد صلى الله عليه وسلم فليسوا بمسلمين، لذلك هذا المعنى الخاص يُخصص المعنى العام؛ فيكون الإسلام هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نسخ الله به جميع الأديان والشرائع، فلا دين إلا دينُه، ولا شرع إلا شرْعه، قال الله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) آل عمران.

درْسُنا لهذه الليلة بإذن الله تعالى: سيكون إن شاء الله في التعليق على المقدمة الثانية التي قدّم بها المؤلف -رحمه الله- بين يديْ رسالتِه:

قال المؤلف -رحمه الله -:

(اعلم رحمك الله أنّه يجب على كلّ مسلمٍ ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهنّ).

قوله: **(اعلم)** سبق وأن أشرْنا إلى أنّ هذه الكلمة يُؤتى بها لإثارة الانتباه لِما سيُلْقى عليك.

وقوله: **(رحمك الله)** فيه الدعاء للطالب؛ وهذا من الأسلوب الحسن ومن التلطّف مع الطالب، وهذا من أعظم وسائل التعليم، ولا يكون المُعلم شديدًا قاسيًا فإن هذا يُنفِرُ الطالب عن تحصيل المطلوب.

وأمّا قوله: **(يجب)** فقد مرّ معنا ونُعيد ذلك كي يتقرّر ذلك عند الطالب، وقد يرى الطالب هذا الأسلوب كثيراً خلال هذه المدارسة؛ فلا يأخذه السأمُ والملل.

قال الشيخ الحافظ الحكُميُ رحمه الله:

فلا يُمِلَّنَك ما تكرّرا *** لعله يحلو إذا تقرّرا

فالواجب لغة: هو الساقِط، وهو اللازم، وهو الحتم، (أي: يلزمُك أن تعلم، ويتحتم عليك أن تعلم).

وأمّا في الاصطلاح: **فهو ما أمر به الشارع أمرًا جازمًا، أو: ما يُثاب فاعله ويستحق العقوبة تاركه.**

وهذا الواجب ينقسم إلى قسمين:

- *واجبٌ كفائي:* **وهو الذي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين.**

- *وواجب عيني:* **وهو الذي يلزَم كلّ واحدٍ بعينه. (وهو المقصود هنا).**

فهذا الأمر بتعلُّمِ هذه المسائل موجه لجميع المُكلّفين إنسهم وجنّهم، رجالهم ونسائهم، وليس الأمر للاستحباب أو النفل، بل يتعيَّن ويجب على كلّ واحد بعينه.

وأمّا قول الشيخ رحمه الله:

(مسلمٍ ومسلمة): فإنّ النساء شقائق الرجال؛ لأنّ الأصل عموم الشريعة فهي تشمل الرجال والنساء إلّا ماخصّه الدليل؛ كالجهاد في سبيل الله مثلا، وكصلاة الجماعة؛ فهذه تجب على الرجال دون النساء، ولولم يقُل المؤلف رحمه الله **(ومسلمة)** لدخلت المسْلمات تحت قوله **(مسلم)**، لكنّه نصّ عليها هنا للتأكيد.

وقوله: **(تعلّم ثلاث هذه المسائل)** لا مجرد القراءة والمطالعة وإنّما التعلّم يكون بالحفظ والفهم.

قال رحمه الله

: [الأولى: أنّ الله خلقنا].

أولى هذه المسائل الثلاث التي سيذْكرها الشيخ رحمه الله **(أنّ الله خلقنا).**

ومعنى *خلقنا* أي: **أوجدنا من العدم، من لا شيء.**

ودليل أنّ الله خلقنا عقلي وسمعي :

- *العقلي* : **مايثبُت بالعقل والتفكُر .**
- *السمعي*: **مايثبت بأدلة الكتاب والسنة.**

الأدلة السمعية : كثيرة منها قول الله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٦٢) الزمر

وقال تعالى: {قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } (٩) مريم،

وقوله تعالى: {ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات.

أمّا الدليل العقلي : فإنّ كلّ حادِثٍ لا بدّ له من مُحدِث؛ ووجود مثل هذا الخلق العجيب لا يُمكن أن يكون صدفةً، والإنسان قبل وجوده عدم، والعدم ليس له القدرة على أن يوجد نفسه فضلًا أن يوجد غيره! وإلى هذا أشار الله عز وجل بقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ }(٣٥) الطور.

ثم قال المؤلف رحمه الله:

(ورزقنا).

من الأدلة السمعية : قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ} ٥٨ الذاريات،

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ } (٣)فاطر.

أمّا الدليل العقلي : على أنّ الله رزقنا، فإننا لا نعيش إلّا على طعام وشراب؛ وهذا الطعام والشراب هو من مخلُوقات الله تعالى، والإنسان بعمله للحِراثة والسقيْ ماهو إلّا سبب ؛ وإلّا فإنّ الله هو المُسبِبُ حقيقة، فمن الذي يرزق الجنين ويُوصل له الطعام والشراب وهو في بطن أمّه من غير حولٍ منه ولا قوّة؟

ثم قال رحمه الله:

(ولم يتركنا هملاً).

الهمل : **هو الشيء المُهمَل المتروك، الذي لا يُعْبَئُ به.**

الله عز وجل لم يتركنا هملا بلا أمر ولا نهي، ولا بيان لما نحتاجه في ديننا ودنيانا، بل بيّن لنا طريق الخير وطريق الشر، قال الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (١١٥) المؤمنون

وقال تعالى: { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } (٣٦) القيامة

وقال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات

وهذه غاية خلق الجن والإنس؛ وهي عبادة الله وحده و توحيده.

والآيات الشرعية التي تدلّ على هذه الغاية كثيرة:

ومن الآيات العقلية التي تدلّ على أنّ الله سبحانه وتعالى لم يترُكنا هملًا ولم يخلُقنا سدى؛ أنّه لا يليق بحكمة الله عز وجل أن يخلق هذا الخلق العجيب، ويُسخر لنا هذا الكون بأكمله ويرسل الرسل، ويُبيح لهم دماء المُعارضين ثم يترُكنا نموت ونذهب دون نتيجة! فهذا عبثٌ لا يليق بحكمة الله عز وجل.

فمِن عدْل الله عز وجل أنّه يُجازي المُحسن ويُعاقِب المُسيء.

قال الله تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } (٣٥) القلم

وقال تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (٢٨) ص

ثم قال رحمه الله تعالى:

(بل أرسل إلينا رسُولاً).

لمّا كانت هذه العبادة التي أمرنا الله عز وجل بها وخلقنا لها لا تُؤخذ من استحسانات البشر وآرائهم وعقولهم؛ أرسل الله الرسُل ليُبيّنُوا للناس كيفية هذه العبادة، ويُنذِروهم ويبشروهم.

قال الله تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (٢٤) فاطر

فهذه العبادة التي أمرنا الله بها وخلقنا لها تؤخذ عن الرسل لا تؤخذ عن غيرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من عمل عملًا ليس عليه أمْرُنا فهو رد] وهذا الحديث بهذا اللفظ أخْرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وهو متفق عليه .

والرسول رجلٌ من بني آدم أوحى الله إليه بشرعٍ وأمره بتبليغه لإقامة الحجة عن الخلق قال الله تعالى: { رسلًا مبشرين ومُنْذرين لئلا يكُون للناس على الله حجّة بعد الرُسل } .

والله عز وجل تفضل على هذه الأمة، وأرسل إليها أفضل رُسُله وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسلهُ الله إلينا كما أرسلَ مَنْ قبله إلى أُممِهم ؛ ليُبين لنا الحكمة التي خُلقنا من أجلها وهي عبادة الله عز وجل ، وليُبين لنا كيفية هذه العبادة وأمرنا بالتوحيد، ونهانا عن الشرك والبدع والمعاصي.

(فمن أطاعهُ دخل الجنّة) أي: من أطاع هذا الرسول المُرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم كان جزاءه دخول الجنّة.

في الحديث الصحيح الذي رواهُ البخاري رحمه الله من حديثِ أبي هريرة- رضي الله عنه -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ أُمتي يدخلون الجنّه إلا مَنْ أبى قالوا: ومَن يأبَى يا رسول الله؟ قال: مَنْ أَطاعني دخلَ الجنّه ومن عصاني فقد أبى).

فطريق الجنّة هي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) الأحزاب، وقال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم }(١٣) النساء.

ثم قالَ رحمه الله:

(ومن عصاهُ دخلَ النّار) أي: من عصى هذا الرسول الذي أرسلهُ الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم أدخلهُ الله النّار جزاءَ عِصيانه رسول ربّه.

قال الله تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ }(١٤)النساء، وقال تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} (٣٦) الأحزاب.

(والدليل) أي: والدليل على إرسال هذا الرسول:

قال المؤلف:

(والدليل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} (١٦) المزمل

(إنّا): الضمير يرجع الى الله سبحانه وتعالى وهذا ضمير المُعظِم نفسه، لأنّه عظيم سبحانه وتعالى.

(أرسلنا): وهذا كذلك ضمير العظمة، أي: بعثنا، أرسلنا: أي بعثنا .

(إليكم): أي: إليكم أنتم معشر الجن والإنس؛ لأنّ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامّة شاملة.

(رسولا): إنّا أرسلنا إليكم رسولاً؛ وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

(شاهدًا عليكم): يشهد عليكم أمام الله عز وجل أنّه بلّغكم؛ وهذه الحكمة من إرسال الرسل، إقامه الحجّه على أقوامهم.

(كما أَرسلنا إلى فرعون رسولاً): مثلما أرسلنا موسى عليه السلام إلى فرعون ليُقيم عليه الحجّه، وفرعون هو ملكٌ تَجَبّر، وادّعى الربوبية فقال: (أنا ربكم الأعلى).

(فعصى فرعونٌ الرسول): كفر فرعون بموسى عليه السلام رغمَ الآيات التي جاءه بها.

(فأخذناه أخذاً وبيلاً) أي: أخذ الله عزَّ وجل فرعون أخذاً شديداً قوياً؛ فأغرقه الله وقومه في البحر، ثم أدخلهم النّار، قال تعالى :{ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} .

فهذه ثلاث عقوبات حصلت لهم:

* الإغراق في الدنيا.

* والعذاب في البرزخ الى قيام الساعة.

* ثمَّ الدخول إلى أشد العذاب يوم القيامة.

قال الله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}، أي: في البرزخ، في القبر، {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }(٤٦)غافر، فكلّ من عصى الرسول تكون عاقبتُه ومآلُه إلى ما آل إليه من عصى موسى عليه السلام أو أشد.

__وخلاصة هذه المسألة:__ أنّها تتضمن توحيد الربوبيه في قول المؤلف رحمه الله: **(أنّ الله خلقنا ورزقنا).**

ويُؤخذ كذلك من هذه المسألة : وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فأنت أيّها المخلوق قد تكفّل الله بخلقك ورزقك، وأرسل إليك رسولاً، لغاية يجبُ عليكَ معرفتها كي تُطيعه فتكون من الفائزين؛ فالشيخ رحمه الله كأنّه يريدُ أن يُحفّزك ويُنشطك ويُهيّأك لمعرفة هذه الأصول.

ثمَّ قال المؤلف رحمه الله:

(المسألة الثانية: أنّ الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته).

المسألة الثانية من هذه المسائل الثلاث خُلاصتها أنّ من أقرّ بتوحيد الرّبوبيه؛ وأنّ الله هو الخالق الرازق؛ وجبَ عليه توحيدُه وعدم الإشراك به في عبادته؛ وهذا هو توحيد الألوهيّة، وهو أن نوّحدَ الله عزَّ وجل في عبادتنا له وهذا الأسلوبٌ كثيرٌ في القرآن؛ يَذكر الله توحيد الربوبية لإلزام النّاس بتوحيد الألوهيّة.

والرسل صلوات ربي وسلامهُ عليهم لم يدعوا الناس إلى عبادة الله هكذا مُطلقاً؛ لكن أمروا النّاس أن يعبدوا الله وأن لا يعبدوا معه غيره.

قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**

فالحاصل أننا أُمرنا بعبادة الله، وأُمرنا كذلك بعدم عبادة غير الله مع الله؛ فإنّ العبادة لا تُقبل إلّا اذا كانت صواباً على سنّه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأن تكون خالصه لله وحده؛ لا يُخالطها شرك؛ فمتى خالطها شرك فسدت!

قال الله تعالى مُخاطباً نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٦٥) الزمر

وقال تعالى : { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

فإن العبادة لا تُسمّى عبادة إلاّ مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تُسمّى صلاة إلاّ مع الطهارة؛ فإذا خالط الشرك العبادة فسدت، كما أنّ الطهارة إذا خالطها ناقضٌ من نواقضِ الوضوء أفسدَ الصلاة وأبطلها.

لهذا أنت تجد الله عزَّ وجل يجْمع بين الأمر بعبادته والنّهي عن الإشراكِ به.

قال الله تعالى :{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} .

وقال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

وقال تعالى :{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }ِ (٥) البينة.

الله عزَّ وجل أمرنا بعبادته وأمرنا بالإخلاصِ في هذه العبادة، أي : عدم الإشراك به وجاءَ في الحديث القدسيّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عَمِل عملاً أشركَ فيه معيَ غيري تركتُه وشركه" رواه مسلم من حديثِ أبي هريره رضي الله عنه وسيأتي تعريف الشرك بإذن الله تعالى وتفصيل القول فيه.

قوله:

(ولا مَلكٌ مُقرّب) أي: أنّ الله عزَّ وجل لا يَرضى أن يُشْرَكَ معه أحد في عبادته ولو كان ملكاً مقرّباً.

والمَلك : واحد والملائكة، مأخوذٌ من الألوكة وهي (الرسالة)، والملائكة عباد الله المُكرمون لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون، خُلقوا من نور وهم مُقرّبون من الله عزّ وجل مكاناً ومكانةً؛ فالمكان هم في السماوات، ومن حيث المكانة أنَّ الله اصطفاهم وكلّفهم بوظائف؛ وهؤلاء مع قُربهم من الله عزَّ وجلفإنّ منهم من هو أقرب من غيرهم كجبريل عليه السلام وكحملة العرش، وهؤلاء مع

قُربهم من الله سُبحانه وتعالى فإنّه لا يرضى لنا أن نُشركهم معه في عبادته لأنّ العبادة حقٌّ خالصٌ لله وحده لا شريك له.

وأمّا قوله:

(ولا نبي مُرسَل) فإنّ الله عزَّ وجل لا يَرضى أن نُشرك معه حتى النبيّين والمُرسلين وهم خير العباد وأفضلُهم كمحمّد صلى الله عليه وسلم، وكإبراهيم وموسى، وكعيسى، ونوح عليهم الصلاه والسلام؛ فإن هولاء أفضل الأنبياء والمُرسلين وأولئك أفضل الملائكة، والله عزَّ وجل لا يرضى أن نُشرِكهم معه في عبادته فغيرُهم من باب أولى.

ثُمَّ قال المولف رحمه الله:

(والدليل قوله تعالى): {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (١٨) الجن

***(المساجد)**: هُنا إمّا أن تكون:*

- هذه المساجد المباني المُعَدّة لإقامة الصلاة (الجوامع).
- وإمّا أن تكون مواضع السجود السبعة: الجبهة ومعها الأنف واليدين والركبتين وأطراف القدمين.
- ويُقصد بالمساجد: كذلك الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعطيت خمساً لم يُعطَهنّ أحد قبلي ... وذكر منها "وجُعلت لِيَ الأرض مسجداً وطَهورا" رواه البخاري - رحمه الله -

هذه المساجد بأنواعها كلّها لله سبحانه وتعالى لا لغيره ! فلا يجوزُ لكَ أن تعبد بها غيره، لإنّك إذا فعلتَ ذلك تكون قد استعملت خلقَه في عبادة غيره.

قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }(١٨) الجن.

فلا: **(لا)** هذه الناهية؟

(تدعوا): خصّ الدعاء بالذكر من بين سائِر العبادات؛ لأن الدعاء يشمل العبادة، وفي الحديث (الدعاء هو العباده)، والدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة .

- ***دعاء العبادة:*** **هو التعبّد للمدْعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه** ، كالصلاة وكالصيام وغيرها .
- ***دعاء المسألة:*** **هو طلب ماينفع الداعي، و طلب كشف مايضرُّه أو يدفعه**، وسيأتي تفصيل الدعاء بأقسامه لاحقًا إن شاء الله.

وكلمة (أحداً) عند أهل الأصول نكرة مسبوقة بنهي وهو (فلا تدعوا)؛ والقاعدة عند الأصوليين أنّ النكرة إذا سبقها نهيٌ أو نفي فإنّها تُعم وتشمل كلّ أحدٍ؛ فلا تدعوا مع الله ملكًا، ولا نبياً، ولا شجرًا ، ولا حجرًا ، ولا جنًا ولا جمادًا ، ولا غير ذلك... فلا تدعو مع الله أحدًا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

(الثالثة أن من أطاع الرّسول ووحّد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله) .

المسألة الثالثة من هذه المسائل الثلاث مُتعلقةٌ بأصلٍ عظيم من أصول الدّين وهو من حقوق التوحيد، ومن المسائل التي وردت فيها النصوص الكثيرة ألا وهي :

مسألة الولاء والبراء؛ الولاء للمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين، فإنّه من حقق المسألة الأولى فوحّد الله تعالى، واتبع رسوله صلى الله عليه وسلم وحقق المسألة الثانية ولم يُشرك معه غيره؛ لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله، ومعنى *حادّ الله:* أي هو في حد والله ورسوله في حد.

والموالاة: من الولاء وهي هنا المحبة والنصرة؛ فالمسلم المُوحِّد لا يحبّ الكافر ولا يوادّه؛ بل يبغضه ويعتقد أنّه عدوٌ له .

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٥١) المائدة

(ولو كان أقرب قريب): أي نسباً، فإذا كان هذا القريب مُحاد لله ورسوله فإنّه يجب عليك عدم موالاته.

قال الله تعالى:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } (١١٤) التوبة.

وقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ }

ثم قال رحمه الله:

(والدليل قوله تعالى :"{ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢٢) المجادلة

(لا تجد): الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته تبعٌ له في ذلك **(فلا تجد):** أي لا يقع هذا ولا يكون موجودًا أبداً، أن يكون هناك قومٌ يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله؛ فلا يمكن أن يجتمع إيمان بالله ورسوله مع موالاة لأعداء الله ورسوله .

قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } (١) الممتحنة

إلى أن قال :{ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }(٤) الممتحنة

قوله تعالى: (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان)

(أولئك): أي: الذين لا يوالون أعداء الله.

(كتب): أي: أثبت في قلوبهم الإيمان ورسَّخه.

(وأيّدهم بروحٍ منه): أي: بقوة منه وبنصرٍ من عنده.

ويدْخلُهم جنّات تجري من تحتِها الأنهار خالدين فيها، ورضي الله عنهم ورضُوا عنه لمّا أغْضبوا أعداءه فكان جزاؤُهم أن رضيَ الله عنهم، وهؤلاء هم حزب الله حقًّا وصِدقًا لا ادِعاءًا وزورًا؛ فكانوا أنصار الله تعالى لا أنصارًا للشيطان.

وممّا يجْدُر التنبيه عليه في هذه المسألة خصوصًا أنه كثُر فيها الخلط أمور مهمة نبّه عليه العلماء، *ومن هذه الأمور:*

أنّ مسألة البراءة من الكفار وعداوتهم قائمة إلى يوم الدين، ومع هذا البُغض والعداوة فإنّه لا يجب إهمال دعوتهم إلى الإسلام فإنّ إسلامهم مطلبٌ شرعي؛ يحصل به الخير الكثير.

والبراءة منهم لا تقتضي مقاطعتهم في الأمور الدُنيَوِية كالبيع والشراء؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الكفار بيعًا وشراءا .

ولا يعني البراءة منهم كذلك عدم الإهداء لهم؛ فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم أهدى لهم فتألَّف قلوب من يُرْجى إسلامه منهم كي يتقوى الإسلام بإسلامهم وقبِل هداياهم وأكل طعامهم المُباح .

وممّا يُنبَّه إليه كذلك أنّ الوالد الكافر على ولدِه المسلم أن يبرّه ويُطيعُه في طاعة الله ورسوله ولا يُطيعه في الكفر؛ قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا } .

هذه البراءة من الشرك وأهله تكون بالقلب واللسان والجوارح.

فبالقلب تُبغضهم في قلبك، وباللسان قال الله تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } (٢٦) الزخرف، وأمّا بالجوارح : فتكون بعدمِ التشبّه بهم في ألبستهم ومظاهرهم الخاصة ، ومشاركتهم أعيادهم ؛ وعليه فيتلخصُ لنا من خلال هذه المسألة الأخيرة:

أنّ شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يريد أن يقول لنا أنّه لا يستقيم للإنسان إسلامٌ ولو وحّد الله عز وجل وترَك الشرك إلّا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء والبراءة مِنهم ، هذا ما تيسّر جمعُه، والله تعالى أعلى وأعلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغْفرك وأتوب إليك.



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (4)

التاريخ : الخميس 6 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس الرابع من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ لله ، والصّلاةُ والسّلامُ على رسولِ الله .

أمَّا بعد:

في هذه اللّيلة بإذن الله تعالى ننتهي من المُقَدّمة التي قدّم بها الشيخ -رحمه الله - تعالى بين يَدي رسالة الأصول الثلاثة .

قالَ شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -:-

[اعْلم أرشدكَ اللهُ لطاعتهِ أنَّ الحنيفية ملّة ابراهيم]

قوله- رحمه الله – : **(اعْلَم)** : سبق معنا وقُلنا بأنَّها لِلفْت الانتباه ، وإلى التنبيه إلى أهمية ما سيُقال لك .

وقوله: **(أرْشَدكَ اللهُ لطاعتهِ)** : أي هداكَ الله إلى امتثال أمرِه وترك نهيِه؛ فإن **الرُشدَ** : **هو الإستقامة على طريقِ الحقّ** ؛ والرُشد ضد الغيّ ؛ قال تعالى : {قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}

والشيخُ -رحمه الله -دعا لك من قبلُ بالرحمةِ والآن يدعو لك بأن يُرشدك الله إلى طاعته، وإذا أرشدك الله لطاعته فقد فُزت وأفْلحت ؛ وفي هذا تلطُّفٌ من الشيخِ رحمه الله تعالى مع الطّالب .

والمؤلفُ - رحمه الله- يدعوكَ أن تعلمَ أنَّ الحنيفيَّة هي ملّة إبراهيم عليه السلام ،

فما هي هذه الحنيفيّة ؟

الحَنيفيّة: نِسبةٌ إلى الحنيف وهي من الحَنَف ،أي المائل .

تقولُ العرب : رجل أحْنَف أي مائِل القدم ، ورجلٌ حنيف أي متنسّك متعَبد ؛

فالحنيفة : هي الملّة المائلة عن الشرك إلى التوحيد ، وهي الطريق المستقيم الذي يُحبُّه اللهُ ويرضاه ، وهي دينُ إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

قالَ الله تعالى { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١٦١) الأنعام

وملّة إبراهيم عليه السلام دينُه وشريعتُه التي سار عليها ، ووصف الله تعالى نبيّه إبراهيم عليه السلام أنّه كان حنيفا فقال تعالى :{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٦٧) آل عمران

وقال الله تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١٢٠) النحل

فإبراهيم عليه السلام كان مائِلًا عن الشرك إلى التوحيد ، وعن المعصية إلى الطاعة ، وعن البدعة إلى السنة .

وقد أمَرَ الله نبيّه محمّدا صلى الله عليه وسلم باتباع ملّةِ إبراهيم في عدّةِ مواضِع في كتابه منها قول الله تعالى :{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(١٢٣) النحل

وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قوله صلى الله عليه وسلم : " بُعثت بالحنيفيّة السَمحة "

وإبراهيم عليه السلام هو خليلُ الرحمان قال الله تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } (١٢٥) النساء

وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء ؛ فإن الأنبياء بعده كلّهم من ذُرِّيته عليه السلام ؛ وقد تكرّر هذا في مواضِع كثيرة للاقتداء به ؛ فما هِيَ طريقة إبراهيم كي نسلُكها ونتّبِعها ؟

قال الشيخ رحمه الله :

(انْ تَعْبُدَ الله مُخلصاً لهُ الدّين)

أي : أن هذه الحنيفية هن أن تعبد الله مخلصاً له الدين ؛

فَسّرَ الشيخ رحمه الله الحنيفية التي هي ملّة إبراهيم عليه السلام وأمر نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعها بأن تعبد الله وحده مخلصا له الدين ، وأخذ الشيخ رحمه الله تعالى هذا التعريف من قول الله تعالى في سورة البيّنة : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (٥) البينة

فملّة إبراهيم عليه السلام تجمعُ بين العبادة والإخلاص ؛ فمن عبد الله صلى وصام لكن أشرَك مع الله غيرُه فهذا ليس على ملّة إبراهيم بل هو مشركٌ بالله العظيم، فملّة إبراهيم عليه السلام مائلة عن الشرك الى التوحيد .

والعبادة في *اللغة* : هي الخضوع والتذلّل .

يُقال : طريق معبّد أي مذلل بكثرةِ الوطْءِ .والمشي عليه .

وأمّا في *الشرع* : فنُعرّفِها ***بالمعنى العام والواسع*** بـ: **غاية الحبّ مع غاية الذلّ**، وهذا تعريف ابن القيم -رحمه الله -

قال ابن القيم في نونيته :

وعِبادة الرّحمن غاية حبّهِ **** مع ذلِّ عابده هما قطبان

وأمّا **العبادة** ***بمفهومها الخاص***، أي تفصيل القول فيها فهي: **اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**. وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

ويكفي طالب العلم المُبتدىء هذا التعريف، ولا نتوسّع عليه في تعريفها كي لا يتشتّت ويصعُب عليه فهم ذلك ويبقى تفصيل القول فيها وذِكر أقسامها لاحقا إن شاء الله .

والإخلاص هو التَنقِيَة ، تقول : ذهبٌ خالص، أي: ذهبٌ صافٍ من كلّ ما يشوبه .

وفي *الشرع* : **أن يُنقي الإنسان إرادته وقصده بالعمل من إرادة وقصد غير الله تعالى .**

فالإخلاص أن يعبد الانسانُ اللهَ عز وجل وحده لا شريك له ، فلا يقصُد بعبادته غير الله وثوابه، فلا يعبد معه غيره ، لا ملكاً ولا نبياً ، لا ولياً ولا جنياً، لا شجراً ولا حجراً.

قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) البينة

قال الشيخ -رحمه الله-:

(وبذلك أمَرَ الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٥٦) الذاريات، ومعنى يعبدون : يُوَحّدون)

قوله - رحمه الله –:

(وبذلك) أي : بالحنيفية التي هي عبادة الله مُخلصًا له الدين أمر الله جميع الناس من لَدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة وخلقهم لأجلها .

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (٢٥) الانبياء

وقال تعالى : { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } (٧٢) المائدة

وقال تعالى في سورة البقرة :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٢) البقرة

هذه الآية فيها أول [نداء]، وأول[أمر]، وأول [نهي] في القرآن كلّه وهي في بداية سورة البقرة ؛

أول نداء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) ، وأول أمر في قوله تعالى : (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) ، وأول نهي في قوله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا)؛

فبماذا كان أوّل أمر ؟ كان في التوحيد ، وبماذا كان النهي الأول ؟ كان عن الشرك.

والمؤلّف رحمه الله استدل على قوله بقول الله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }(٥٦) الذاريات

ففي هذه الآية ذكر الله عزوجل الغاية والحِكمة من خلق الجن والإنس ؛ فإن الله عز وجل لم يخلق الجن والإنس لعِمارة الأرض ، ولم يخْلُقهم للَّهو واللّعب ؛ فإنّه سبحانه وتعالى خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته وحده سبحانه وتعالى والإخلاص له في ذلك ؛ فإنّ العبادة بدون توحيد لله تعالى لا تُسمى عبادة ، كما أنّ الصلاة بغير طهارة لا تُسمى صلاة وتكون باطلة ، وكذلك العبادة من غير توحيد باطلة .

لذلك فسّر ابن عباس رضي الله عنهما يعبدون بيُوَحّدون، أي: يُوَحّدوني في العبادة ويُخلِصوا لي في هذه العبادة ولا يُشركوا معيَ غيري .

ويُستفاد من الآية كذلك : وجوب الإيمان بوجود الجن وأنّهم عالم غيبي مكلّفون مثل الإنسان للمُطيع منهم الثواب وللعاصي منهم العقاب ، ومن أنكر وُجود الجنّ فقد كذّب القرآن .

ثم قال -رحمه الله -:

(وأَعّظَم ما أمَرَ الله به التّوحيد وهو إفراد الله بالعبادة)

<u>التوحيد</u> في اللغة : مصدر من وحّد يُوحّد توحيداً إذا جعل الشيء واحدًا .

وفي *الشرع* : **إفراد الله سبحانه وتعالى فيما يختصُّ به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات .**

<u>وأنواع التوحيد ثلاثة</u> : توحيد ربوبيةٍ، وتوحيد أُلُوهيةٍ ، وتوحيد أسماء وصفات

- <u>توحيد الربوبية :</u> **هو أن تفْرد الله بالخلق والرزق والتدبير ؛ أي تُوَحّد الله في أفعاله هو سبحانه وتعالى .**
- <u>توحيد الألوهية :</u> وهو توحيد العبادة ؛ **فتُفرد الله عز وجل في عبادتك له ، ولا تُشرك به غيره** ؛ أي : **تُوحّد الله في أفعالك أنت لله عز وجل .**
- <u>توحيد الأسماء والصفات :</u> **إفراد الله عز وجل بما سمّى به نفْسه، وذكر في كتابه، و في سُنة نبيّه صلّى الله عليه وسلم بإثبات ما أثبت ونفي ما نفى من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .**

والمؤلّف - رحمه الله - فسّر التوحيد بقوله إفْراد الله بالعِبادة، فتعبُد الله وحده ولا تشرك به غيره ، ففسّره -رحمه الله- بتوحيد الألوهية ولم يذكُر توحيد الربوبية ؛ وذلك لأنّ توحيد الألوهية هو أعظم أنواع التوحيد، وكذلك لأنّ توحيد الألوهية مُتضمّن لِتوحيد الرُّبوبية .

والمؤلّف - رحمه الله - في هذه الرسالة ركّز على توحيد الألوهية - توحيد العبادة - وهذا النوع الاهتمام به آكد ؛ لأنّ أكثر الناس مُنكِرون له، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأُمَمِهِم، وهذا الذي ضلّ فيه المُشركون الأوائل ، وقد قاتلهم النبي صلى الله عليه

وسلم مع إقرَارِهم بتوحيد الربوبية ، وأنّ الله هو الذي خَلَقهم وأنّه هو الذي رَزَقهم ؛ وهذا النوعِ من التوحيد - توحيد الربوبية - تُقِرُّه العقول والفِطر ، ولو أقَرَّ رجلٌ بتوحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات لكنّه أشركَ مع الله غيره ؛ فعَبَد غير الله فهذا كافر مُشرك! ولا ينفعُه إقرارُه بتوحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات، فيجبُ الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة .

ولِعِظم أمرِ التَّوحيد تَركّزت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكّة على التّوحيد إلى إفْراد الله بالعبادة ، ولم يُشْرَع من أركان الإسلام إلّا الصلاة بعد السّنة العاشرة من البعثة، فقد مكثَ صلّى الله عليه وسلم في مكة عشْر سِنين يدعو الناس إلى التوحيد لعِظم أمْره ، ولم تُشرعِ الصلاة إلّا في العام العاشِر ليلة المِعراج ، وهذا يُبيّن لك أهمية التوحيد ، وأنّه أعظم ما أمر به .

قال الله تعالى في الآية التي ذكرْناها أخيرا في سورة البقرة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٢) البقرة

ففي هذه الآية الأمر بعبادته سبحانه وتعالى ، وتوحيده وعدم الاشراك به ، وكان النبّي صلى الله عليه وسلم يقول : " يا قومِ قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا " ، وكان يأمُر من كان يُرسِله الى الدعوة أن يبدأ بالتوحيد .

ثم قال المؤلّف - رحمه الله – :

(وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه).

الشرك في *اللّغة* : هو الحظُّ والنّصيب .

أمّا في *الشرع* فقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله **:" أن تجْعل لله نِدًا وهو خلقك "**

<u>**والشرك**</u> شركان : أصغرٌ وأكبر .

<u>**فالأصغر :**</u> **هو تحت المشيئة وصاحبهُ يدخل الجنة .**

<u>**أما الأكبر:**</u> **هذا لا يغفره الله لمن مات عليه، وصاحبه مُخلّد في النار .**

والمؤلِّف - رحمه الله - عرَّف الشرك بقوله : **(وهو دعوة غيره معه)** أي: دعاء غير الله مع الله، فإنّ الدعاء كما مرَّ معنا هو العبادة ؛ وهو ينقسم الى قسمين : دعاءُ مسألة ودعاءُ عبادة ، فالدعاء يشمل العبادة كلّها؛ ودعوة غيره معه أي عبادة غيره معه .

هذا الشرك هو أعظم العظائِم ، وأكبر الكبائر، وكلّ ذنبٍ عُصِيَ الله به دونه، وأقلُّ منه، ويغفره الله لمن شاء إلّا الشرك ؛ فإنّ من مات عليه لا يغفره الله له ويُخلّد في النّار ولا يخرجُ منها أبداً، والشرك هو الظُّلم العظيم، وهو الإثم العظيم، وهو الضلال البعيد .

قال الله تعالى : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (١٣) لقمان

وقال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) النساء

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١١٦) النساء

وقال تعالى : { إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } (٧٢) المائدة

وفي صحيحَي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ قال : "أن تجعل لله نِدًا وهو خلَقك" . قلت : إن ذلك لعظيم ! ثم ماذا ؟ قال : "أن تقتل ولدك خشية أن يُطعِم معك"، قلت ثم ماذا ؟ قال : "أن تُزانِيَ حَلِيلَة جارك" .

والنّبي صلى الله عليه وسلم بدأ بالأعظم فالأعظم، فالشرك كما ترى أعظم من قتلِ النفس المحرّمة وأعظمُ من الزنى، ومِصداق ذلك في كتاب الله قول الله تعالى : { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ}

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبِئُكم بأكبر الكبائر ؟"، قلنا بلى يا رسول الله ، قال : "الإشراك بالله " متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : "من لقِيَ الله لا يُشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيَه يُشرك به شيئا دخل النار" .

قال -رحمه الله –

والدليل قوله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } .. النساء

المؤلف - رحمه الله - استدل على أنّ أعظم أمرٍ هو الأمر بالتوحيد؛ وأنّ أعْظم نهي هو النهي عن الشرك بقول الله تعالى: { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا } .

(واعبدوا) : أمر بعبادة الله وحده ، والعبادة قلنا أنّها لا تُسمى عبادة إلّا مع التوحيد .

(ولا تُشركوا) : نهيٌ عن الشرك بالله .

و**(شيئاً)** : هنا نكرة في سياق النهي ؛ وقلنا فيما سبق إنّ علماء الأصول يقولون أنّ النكرة في سياق النهي أو النفي تفيد العموم . فشيئًا هُنا عامّة تشمُل كلّ شيءٍ، فلا

تُشرك مع الله لا ملكاً ولا نبياً ، ولا إنساناً ولا صالحاً ، ولا ولياً ولا قبراً ، ولا جِناً ولا شجراً ولا حجراً ؛ فهي تشمل كلّ شيء.

ووجه استدلال الشيخ -رحمه الله - بهذه الآية على أنّ أعظم ما أمر به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك ؛ كَوْن هذه الآية واقعة في آية الحقوق العشرة في سورة النساء، قال الله سبحانه وتعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٣٦) النساء

فبدأ الله سبحانه وتعالى فيها بحقِّه ؛ ثم ذكر بقيَّة الحقوق ، وفي هذا دليل على أنّ أعْظم حقٍ هو حقُّ الله سبحانه وتعالى وذلك بإفْراده بالعبادة وعدم الإشراك به .

وكذلك الأمر في آية الوصايا العَشر في سورة الأنعام ، قال الله تعالى : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (١٥١) الانعام

فبدأ بالتوحيد ، والنّهي عن الشرك .

وكذلك في آيات سورة الإسراء التي ذكر الله فيها ثمَانِيَة عشَر مسألة بدأها بالتَّوحيد فقال الله تعالى :

{ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا }(٢٣) الإسراء .

فبدأ بالتّوحيد ، والنهي عن ضدِّه وهو - الشرك - ثم سَرَد باقي الأوامر سبحانه وتعالى .

والله عز وجل ما بدأ به إلّا لِعَظمتِه ولأهمّيته ، والآيات الدالة على هذا الأمر كثيرة جداً حتى قيل أنّ القرآن كلَّه في التوحيد .

قال الله تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت } (النحل)

وكذلك ما مرَّ معنا قريباً في الآية التي في بداية سورة البقرة التي فيها أول نداء، وأول أمر ، وأول نهي ؛ وهي قول الله تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٢) البقرة

فأعْظم أمرٍ أمر الله به التوحيد وغيره دُونَه، وأعظم نهي نهى الله سبحانه وتعالى عنه الشرك وغيره دُونَه ؛ وإن كان أكبر الكبائر فإنّ الشرك أكبرها وأعظمها على الإطلاق .

وعليه يتلخَّص لنا مما سبق :- أنّ الشيخ - رحمه الله - في هذه الفقرة الأخيرة تطرَّق إلى بيَان أسباب دراسة التوحيد ؛ ونُجْملها ونُلخِّصها نحن في نقاط تبيّن لنا :

أهمية دراسة علم التوحيد :

- **التوحيد هو دين الحُنفاء وهو أعظم ما أمر الله به .**
- **ندرُس التوحيد كي نَحذُر من الشرك ولأنّه أعظم ما نهى الله عز وجل عنه .**
- **من أجل التوحيد أُرسِلَت الرُّسل وأُنْزِلت الكتب .**
- **التوحيد هو سبب لدخول الجنة ابتداءًا أوانتهاءًا**
    - **ابتداءًا** : يعني لمن أُدْخل الجنة بغير عقاب أُدخِل الجنة مباشرة ، ولم يدخل النار ، ودخوله كان بسبب التوحيد .
    - **انتهاءًا** : أي : من أدخله الله النّار وهو من أهل التوحيد؛ إلّا أنّه استحق النار لارتكابِه الكبائر والآثام ، فإنّه يدخل النار إذا مات ولم يتُبْ؛ إذا مات ولم يتُبْ

من هذه الذنوب ولم يغْفرها له الله عز وجل لكنّه لا يُخلّد فيها، وبسبب توحيده يكون مآله الجنة .

- **التوحيد يعصِمُك من دخول النار ابتداءأ أو انتهاءًا** ، فبِسَبب التوحيد قد لا يدْخُل العبد النار أصلًا ؛ وإذا دخلها فإنّه بسبب التوحيد لا يُخَلد فيها .
- **التوحيد سببٌ لتكفير الذنوب، وهو سبب لقبول باقي الأعمال** ، فإن المشرك لا يقبل الله منه أعماله التي كان يتقرَّب بها ، قال الله تعالى : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }(٦٥) الزمر
- **التوحيد سبب لشفاعة النّبي صلى الله عليه وسلم للانسان المُوَحِد.**
- **التوحيد سببٌ لحصول الأمن ، والهداية ، والطمأنينة.** قا ل الله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } (٨٢) الأنعام

والظُلم : *المراد به في هذه الآية* هو : الشرك ؛ ودليل ذلك أنّه لما نزلتْ هذه الآية اهتمَ لها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله : ومَنْ مِنّا لم يظْلم نفسَه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " إنه ليس الذي تذهبون إليه، وإنّما المراد بالظُلم الشِرك ألم تسمعوا الى قول لقمان لابنه :{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }".

بهذا نكونُ قد انتهينا من المقدمة التي قدم بها الشيخ - رحمه الله - بأقسامها الثلاثة ، وندخل في بيان هذه الأصول الثلاثة في الدرس القادم بإذن الله تعالى، نسأل الله التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الّا أنت أستغفرك وأتوب إليك .



باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (5)

التاريخ : الخميس 13 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس الخامس من دروس شرح الأصول الثلاث

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد :

فهذا هو المجلسُ الخامسُ من شرحِ الأصول الثلاثة لشيخِ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهّاب رحمة الله تعالى عليه.

كُنّا قد انتهينا في آخر حصة من المقدمة التي قدَّم بها الشيخ رحمه الله تعالى؛ وفي هذا المجلس سيبدأُ الشيخ رحمه الله بالمقصود .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:

[فإذا قيلَ لكَ ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟]

الأصولُ : جمع أصلٍ ، والأصل **ما يُبنى عليه غيره** ، ومنهُ أصل الشجرة ؛ وهي ما يتفرع منه الأغصان .

وهذه الاصول الثلاثة بُنِيَ عليها دين الاسلام بالكامل.

قالَ الشيخ - رحمه الله –

[فقل : معرفة العبد ربَّه ، ودينَه ، ونبيهُ محمدا صلى الله عليه وسلم .]

سَبَقَ معنا في المقدمة الأولى التي قدّم بها الشيخ رحمه الله تعالى عند ذكرنا للمسائلِ الأربع الواجب تعلُّمها ، والمذكورة في سورة العصر ، وذكرنا أنّ أولَ هذه المسائل : العلم ، وقلنا في العلم : هو معرفة العبد ربَّه ودينَهُ ونبيَّه محمد صلى الله عليه وسلم، وهي هذه الأصول الثلاثة التي سَيذكرها المؤلف الآن .

الاصلُ الأول من هذه الأصول :

* هو معرفة العبد ربَّه.

* والاصلُ الثاني هو معرفة دين الإسلام .

* والاصلُ الثالث هو معرفةِ النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكرها هناك مُجْملة ؛ والآن أوان التفصيل فيها ؛ وذكرنا هناك في الدرس الثّاني أنّ مَعْرفة العبد ربَّهُ تكون بالأدلة العقلية والنّقلية، وكذلكَ معرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكونُ بالادلّة العقلية والنّقلية ؛ وأمّا معرفة دين الاسلام فلا تكون إلّا بالأدلة النقلية؛ فلا مجال للعقل في معرفة دين الاسلام .

هذه الاصول الثلاثة - كما قلنا - باختصار هي أسئلة القبر الثّلاثة : من ربك؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

وقد وردَ ذِكْر هذه الأسئلة في حديث عند أبي داود وأصله عند مسلم، وهو حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه نورده نحن على طوله لأنّه أصل هذه الرسالة التي ألفها الشيخ محمد -رحمه الله تعالى -

فعن البَراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جِنازة رجلٍ من الأنصار؛ فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحد أي : ولم يحْفروا اللحد بعد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطّير أي: جلسوا ينتظرون إتمام الحفر وهم سكوت وفي سكون وفي يده أي : في يد النبي صلى الله عليه وسلم عودٌ ينكتُ في الأرض؛ فرفع رأسه أي - النبي صلى الله عليه وسلم – فقال : [استعيذوا بالله من عذاب القبر] مرتين أو ثلاثة ، وفي هذا إثبات لعذاب القبر ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشمس ومعهم كَفن من أكفان الجنة وحنوطٌ من حنوط الجنة ؛ حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت -عليه السلام - حتَّى يجلس عند رأسهِ فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء] ، - هذه نفس العبد المؤمن جعلنا الله من عباده المؤمنين - فيأخذها ؛ فإذا أخذها لم يدعوها في يدّه طرفة عين حتى يأخذوها ، و يجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض – أي: رائحة طيبة -.

قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلّا قالوا : ما هذا الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلانُ بن فلان بأحسن أسمائهِ التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ، فيُفتح لهم ، فيشعيّهُ من كلّ سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى به الى السماء السابعة ؛ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليّن وأعيدوه الى الأرض فإنّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال: فُتعادُ روحه في جسده فيأتيه ملكان ؛ فيجلسانه في مكانه فيقولان لهُ : من ربُّك ؟ فيقول : ربيَّ الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول دينيَّ الاسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . - وهذا هو الشاهد من الحديث - فيقولان له : وما علمك ؟ يعني كيف علمت هذا ؟ فيقولُ : قرأت كتاب الله عز وجل ؛ فآمنت به وصدقت .

فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوهُ من الجنّة ، وألبسوه من الجنّة ، وافتحوا له بابا إلى الجنّة ؛ - وفي هذا إثبات لتنعم أهل الجنة في قبورهم - .

قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفْسَح له في قبره مد بصره ،ويأتيه رجلٌ حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيّب الريح فيقول : أبشر بالذي يَسُّرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربِّ أَقِمْ الساعة ،ربِّ أَقِمْ الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي .

قال: وإنّ العبدَ الكافر إذا كان في إنقطاعٍ من الدنيا واقبالٍ من الآخرة نزلَ اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المُسوح ، - **والمُسوح : جمع مسح وهو الثوب الخشن** - ، فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسهِ فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي الى سخط من الله عز وجل وغضب قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصوف المبلول، - كأنك تضع شوكاً في صوف ثم تنزع هذا الشوك -، فيأخذها فإذا أخذها لم يَدعها في يدّه طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح؛ فيخرج منها كَأنتنِ ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروحُ الخبيث ؟ فيقولون : فلانُ بن فلان بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ؛ فلا يُفتح له ثُمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سمِّ الْخِيَاطِ } فيقول الله عز وجل :اكتبوا كتابَهُ في سجين في الأرض السفلى، فَتُطرحُ روحه طرحاً ثم قرأ :{ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }

فَتُعاد روحه في جسده ويأتيهِ ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربّك ؟ فيقول ها ها لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ها ها لا أدري ، فيقولان له: ما هذا الرّجل الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول ها ها لا أدري ، فَيُنادى منادٍ من السماء أنْ كَذَبَ فأفرشوا له من النّار، وافتحوا له بابا الى النّار، فيأتيه من حَرِّها وسَمومها وَيُضَيَّق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، فيأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثّياب مُنْتن الريح فيقولُ : أبشر بالذي يَسوءك هذا يومك الذي كنت تُوعَد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشّر ، فيقول : أنا عَمَلُك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تَقم الساعة .]

هذا الحديث هو أصل هذه الأصول الثلاثة ؛ فمن وفّقهُ الله عزَّ وجل ونجحَ في الإجابة فقد فاز ، ومن أخفق فذلك هو الخسران المبين، فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية فيجبُ علينا أن نَتعلّمها وأن نعتقدِها ؛ فلا بُدَّ من تعلمها والعمل بها ودعوة الناس الى ذلك والصبر على ذلك كلّه عسى الله أن يُثّبتنا عندَ السؤال في قبورنا ، فأنت ترى عظيم أهمّيتها لذلكَ ركّزَ عليها الشيخ رحمه الله تعالى وأفردها بالتأليف وَوضّحها لنا فَجزاهُ الله عنَّا وعن المسلمين خيراً .

ثُمَّ قالَ الشيخُ - رحمه الله –

[فإذا قيلَ لكَ من ربّك؟ فقل: ربي الذي ربَّاني وَرَبَّى جميع العالمينَ بنعمه].

الآن المؤلف رحمهُ الله دخلَ في تفصيل القول في هذه الأصول بعد أن أوردها مُجملة؛ فإذا قيل لك يا عبد الله من ربّك؟ وهذا السؤال واردٌ عليك في الدنيا وفي الآخرة فقل مُعتقداً جازماً بلا شك: ربيَّ الله .

وتربية الله لعباده معناها **رعايته لهم** ؛ فقد **تَكّفلَ الله بخلقهِم ورزقهِم وسائرِ أمورهِم** .

وتربية الله نوعان :

- **تربية عامّة :** وهذهِ تشملُ كلّ أحدٍ، المسلم والكافر ، البَّر والفاجر ، تشمل الإنسان والحيوان ، وتشمل النبات وغيرذلك ؛ فإنّ الله عزّوجل تكفّل لكلّ شيءٍ بخلقهِ ورزقه وتدبيرِ أمره و هذه تربية دنيوية ، فإنَّ كلّ مخلوقٍ نِعَم الله إليه واصلة ، وهذا دليل عقليٌّ للاستدلالِ بأنّ الله عزُّوجل هو ربّي .

النوع الثاني من التربية :

تربية خاصّة : وهذه تشمل عبادَ الله المُؤمنين وهي تربيةٌ دينية ، تربيتهم بالإيمان والعمل الصالح فهو الذي وفقهم ويَسّرَ الهدى لهم، قال تعالى : {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } وقد أَشارَ الله عز وجل إلى نوعي التربية العامة والخاصة بقولهِ تعالى: { قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ } . ففي قولهِ تعالى (أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) إشارةً الى التربية العامّة الشاملة ، وفي قولهِ : تعالى(ثُمَّ هَدَىٰ)إشارةٌ إلى التّربية الخاصة لِمَنْ أراد الله هدايتهم إلى طريق الخير.

ثُمَّ قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

[وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه].

إقرارَكَ بالربوبية لا يكفي ، لا بُدَّ من الإعتراف بالالوهية لله فلا يكفي أن تقول ربيَّ الله الذي ربّاني وربَّى جميع العالمين بنعمه ؛ لا بُدَّ كذلك أن تضيف إليها وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، أي : عبادتي لله وحده لا لغيره ، وهذا هو توحيد الألوهيّة الذي هو نفسه توحيد -العبادة - فهذا الرّب الذي ربَّاني وربى جميع العالمين بنعمه هو المُستحق للعبادة دون ما سواه لا من الملائكةِ ولا من الرُّسل ، لا من الأشجار ولا من الأحجار ؛ وهذا هو الفرق بين الموّحد والمشرك .

المُوَحّدُ : يُوحدُ الله عز وجل بربوبيته ويُقِرُّ ويُوَحد الله بالعبادة ، فلا يعبد مع الله أحدا ، ولا يشرك معه غيره.

والمشرك : يُوحد الله بربوبيته لكن في عبادته يعبد مع الله غيره، فيعبد الأشجارِ والأحجارَ والقبورَ والصالحين ؛ وهذا لا ينفعهُ إقرارهُ بربوبية الله وحده ولا يدخله ذلك في الاسلام كما لم ينفع

مشركي قريش ولم يدخلهم في الإسلام وكانوا من أهل النّار خالدين فيها أبداً نسألُ الله السلامة والعافية .

فالمُوحِدُ ليس له معبودٌ سوى الله عز وجل لا ملك مُقَرّب ولا نبيٍّ مُرسل ، لا شجر ولا حجر .

والمؤلف رحمه الله ذكر توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية ، فمن أقرَّ لله بالربوبية وأنّ الله هو الخالقُ الرّازقُ المُدَّبر فعقلا لا يحقّ له أن يصرفَ العبادة لغير الله سبحانه وتعالى .

ثم قال - رحمه الله – :-

[والدليل قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }.]

بعد أن ساقَ المؤلف رحمه الله الدليل العقلي أتى بالدليل النقلي، وهو قوله تعالى :{ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }.

الحمدُ هو الثناء على المحمودِ مع مَحبتهِ وإجلاله.

(ال) في **(الحمد)** هي: (للاستغراق) ، أي: جميع المحامد لله ، فهو المُستحقُ للحمدِ الكامل .

والشاهد من الآية قوله تعالى: { رَبِّ العَالمين } .

العالمين : جمع عالم، والله ربّ كلّ هذه العوالم .

أي : يربيهم بنعمه، وهو خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم، قال الله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ }.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[وكلّ ما سوى الله عالم ، وأنا واحدٌ من ذلك العالم .]

العالم كُل ما سوى الله سُمّوا عالماً، لأنّهم عَلَمٌ على خالقهم ومالكهم ومدبّر أمورهم .

فأنا وأنت واحد من عالم الإنس ، والسماوات عالم ، والأرض عالم ، والجنُ عالم ، والملائكةُ عالم والأشجار عالم والحيوانات عالم ، عوالم في البرّ والبحر وفي عالم السماء لا يعلمها إلّا الله سبحانه

وتعالى الذي هو ربُّ كلّ هذهِ العوالم ، ربّ العالمين ، فكلّ ما سِوَى الله عالم وهذه العوالم كلّها ربَّاها الله عز وجل بنعمه .

ثم قال - رحمه الله - :

[فإذا قيلَ لك بِمَ عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته .]

الآن يريدُ الشيخ - رحمه الله - أن يأتيَ بالدليل ، ما دليلك على أنّ الله ربّ العالمين ؟ الشيخ -رحمه الله تعالى - يحرصُ كثيرا على ذكرِ الدّليل وسيذكر الأدلة التي بها عرفنا ربّنا.

فقال : عرفنا ربَّنا بآياتهِ ومخلوقاتهِ .

والآياتُ : جمع آية وهي : **العلامة على الشيء** ، التي تدل عليه وتبينه .

وآيات الله على نوعين : كونية وشرعية.

فالآيات الكونية: هي المخلوقات كالليلِ و النهار والشمسِ والقمر .

أمَّا الآيات الشرعية : فهي الوحي الذي أنزلهُ الله على رسلهِ .

المؤلف قال : بآياته ومخلوقاته مع أنّ الآيات تشمل المخلوقات ، فلماذا أضاف قوله: ومخلوقاته .

المؤلف رحمه الله قصد بقوله: عرفنا ربنا بآياته، أي: عرفناه بآياته الشرعية والكونية جميعاً لأنّه قال بعدها: ومن آياتهِ الليل والنهار والشمس والقمر، وهذه آيات كونية .

ثم قالَ : **- ومخلوقاته -** مع أنّ هذه المذكورات مخلوقات ، الليل والنهار والشمس والقمر، فيكونُ هذا من باب عطف الخاصّ على العام لأنّ كُلَّ مخلوق آية ، وليس كُل آية مخلوقاً ؛ فالآيات أعمَّ من المخلوقات ، ومن فوائد هذا الاسلوب التنبيه على منزلة ما سيذكر.

قال -رحمه الله - :

[ومن آياته الليل والنّهارُ والشمسُ والقمر.]

سميت آيات : الليلُ والنهار والشمسُ والقمر لأنّها دلالاتٌ على خالقها سبحانه وتعالى .

قال أبو العتاهية :

فَيا عجباً كيفَ يُعصى الإله *** أم كيف يجحدهُ الجاحد

وفي كلّ شيء له آية *** تدلّ على أنّه واحدُ

الليل بظلامه وسكونه دليلٌ على عظيمِ خلق الله سبحانه وتعالى، النهار بضوئه دليلٌ على وجود الله سبحانه وتعالى، تعاقب الليل والنهار بانتظام لمصلحةِ العبادِ دليلٌ على وجود الله تعالى وتسيير الله لذلك ، وهذه الشمس الكوكب العظيم ، السراجُ الوهّاج ، وهذا القمرُ الكوكب المنير، وفي هذه الآيات العظيمة مصالحٌ كثيرةٌ للناس، وللأشجار وللثمار وللبحار، في نظام دقيق لا يتخلفُ أحدٌ عن الآخر ، وكذلك لمصالح العباد في تحديد المواقيت والآجال.

الحساب الشمس والحساب القمري فيهما مصالح عظيمة للناس ؛ لذلك استدلَّ الأعرابي كما مرَّ معنا على وجود الله بآياته الكونية .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى –

[ومن مخلوقاته السّماوات السبع والاراضون السبع ومن فيهن وما بينهما]

سبعَ سماواتٍ بعضُها فوقَ بعض، السّماء الدنيا ثُمَّ التي تليها حتى السّماء السابعة ، وفوق الجميع عرشُ الرحمن عز وجل ، وكذلك الارضون سبع طباق وكلّ من فيهنَّ وما بينهما من مخلوقات دوابٌّ وجبال وأشجارٌ وأحجار وبحار آيات من آيات الله عز وجل.

قالَ - رحمه الله تعالى:-

[والدليلُ قوله تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْل وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلّه الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ }]

المؤلفُ رحمهُ الله يسوقُ الدليل على أنَّ هذه الاربع من آيات الله ، أي: من علامات ربوبيته سبحانه وتعالى واستحقاقهِ العبادة دُون ما سواه ، وخصّص هذه الاربعة بالذكر لِعظمها، الشمس والقمر والليل والنهار وهذه من أبرز العلامات المُشاهدة التي يراها الناس ، يأتي النهار بنوره ، ويذهب الليل بظلامه ، يطولُ النهار ويقصر الليل والعكس في نظام بديع متكامل يدلّ على أنّ له مُدّبرٌ حكيم .

هذه المخلوقات مع - عِظَمها - لا تسجدوا لها ، أي: لا تعبدوها .

وفي قوله : (لا تَسْجُدُوا) إشارة الى أنّ السُّجود من أعظم انواع العبادة ، والسّجودُ وضع الجبهة على الأرض خضوعاً وتذللاً للمعبود، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " أَقْربُ مُا يكونُ العبدُ مِنْ ربّهِ وهو ساجِد " وهذا الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

لأنّ وجهك وهو أعزَّ ما تملك وضْعتُهُ على الأرض إجلالاً وتعظيماً لله عز وجل .

فهذه الآيات مخلوقةً مثلُكم وخالقها هو الله عز وجل فلا تَعبدوها ولكن اعبدوا خالقها وهو الله سبحانه وتعالى، وقد وُجِد من عبد هذه المخلوقات نسأل الله السلامة والعافية .

ثم قالَ الشيخ - رحمه الله تعالى - :-

[وقوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَوَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }]

فيه دليلٌ على أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض .

وقوله تعالى : **(إن ربَّكم)** أي: خالقكَم ومعبودكم .

وقوله تعالى: الذي خلق السماوات والارض في ستّةِ أيّام، فهذه المخلوقات العظيمة خلقها الله عزَّ وجل في ستّةِ أيام مع أنّ عزَّ وجل قادرٌ على خلقها في لحظة ، قال تعالى :{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } ، لكنَّهُ سُبحانه وتعالى خلقها في ستّةِ أيام لحكمةٍ يعلمه هو سبحانه وتعالى، وفي هذا تعليمٌ مِنَ الله لعبادهِ الأَنَاة وعدم العجلة .

ثم استوى على العرش .

استوى : أي : **ارتفعَ وعَلا** ، وهذا العُلوُّ والارتفاع خاصٌ بالله عز وجل كما يليقُ بعظمته وجلاله .

والعرشُ: أعظمُ المخلوقات وأعلاها، تحمله الملائكة وهو سرير الملك.

يُغشي اللّيل النّهار، يُغطي أحدهما الآخر فيتعاقبُ الليل والنّهار.

يَطلبهُ حثيثا : أي : **مباشرةً بلا تأخر**، إذا ذهب النهار جاءَ الليل بعده بلا تأخر ، وإذا ذهب الليل جاء النهار بلا تأخر .

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، أي: **مذللات لمصالح العباد بأمره .**

ألا لهُ الخلق والأمر : أي: له الخلق وحده سبحانه وتعالى، إذا أراده فلا يشاركه فيه أحد.

والأمرُ هو كلامه سبحانه وتعالى ، **وينقسمُ إلى قسمين :**

أمر كوني : وهو قضاؤه وقدره في الكون، يأمر المخلوقات فتطيعه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَىٰ السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتا أَتَيْنَا طَائِعِين } ، وقولهُ تعالى : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } .

أمّا **الأمر الشرعي :** فهو وحيه المنزل الذي يأمر به عباده بعبادته، ويدخل فيه الأوامر والنواهي التي في القرآن والسنة .

فإذا كان لله الخلق وله الأمر فما بقي لغيره سبحانه وتعالى ، لم يبقَ شيء لغيره تعالى .

تبارك الله رب العالمين ، أي: **تعاظم الله ربّ العالمين .**

ففي الآية إلزام بتوحيد الألوهية - توحيد العبادة - بإقرارهم واعترافهم بتوحيد الربوبية .

ثُمَّ قال الشيخ رحمه الله تعالى :

[والرّب هو المعبود]

أي: المستحق للعبادة، فلا يستحقها غيره ؛ فليس كلّ من عُبِدَ رب .

فإذا أقرَرْت يا عبد الله بأنّ الرّب هو الله يلزمُك أن تقِرّ بأنّه هو المعبود وأنّ غيره لا يستحق من العبادة شيئا .

قال رحمه الله :

(والدليل) : أي: والدليل على أنّ الربَّ هو المعبود .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

هذه الآية كما مَرّ معنا هي في بداية سورة البقرة وقُلنا بأنّ فيها أوّل نداءٍ وأوّل أمرٍ : هو أمر بالتوحيد

وأول نهي : وهو نهي عن الشرك .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاس) نداءٌ للجميع مؤمنين ، وكفار ، ومنافقين ،

لأنّ الله تعالى قبل هذه الآية قَسَّمَ النّاس إلى ثلاثة أصناف:

. **مُؤمنون :** وهؤلاء الذين يؤمنون بالغيب ويؤمنون باليوم الآخر ووَصفهم الله تعالى بأنهم مفلحون .

. **وكفّار:** أظهروا الكُفر والعِناد.

. **ومنافقون :** ليسوا مع الكفار ، وليسوا مع المؤمنين؛ فهم مؤمنون في الظاهر كفّار في الباطن ؛ وهم شرٌّ من الكفار المجاهرين بكفرهم .

فبعد أن انتهى الله سبحانه وتعالى من ذكر هذه الأصناف الثلاثة وذِكر بعض أوصافِهم جاء النداء بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاس) وهذا النداء يشمل ما سبق: مؤمنين ، وكفار ، ومنافقين .

وقوله تعالى : (اعْبُدُوا ربكم) فعل أمرٍ، أي: أخلصوا له العبادة لأنّه ربّكم.

(الَّذِي خَلَقَكُم والَّذينَ مِنْ قَبْلكم): أي: لأجل أنّه خلقكم وخلق من قبلكم فيلْزَم أن نعبُده وحده .

(لَعَلَّكُم تَتَّقون) : أي: لِكَي تتقوا عذابي وتتّقون النّار.

ثم واصل الاستدلال على ربوبيته وعبوديته ليُلزِمهم بعبادته وحده سبحانه وتعالى فقال :

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرضَ فِرَاشًا): أي: بساطا.

(والسَّماءَ بِنَاءً):أي: سُقْفا.

(وأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً) : أي: من العلو من السحاب .

(فَلَا تَجْعَلوا للهِ أنْدَادًا) :أي: لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم ، وخلق مَنْ قبلكم ، والذي جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناءا ، وأنزل لكم من السماء ماءا ؛ لا تجعلوا له أندادا .

والأندادُ : جمع ندٍّ وهو المثيل والنظير، فلا تجعلوا لله أندادًا تعبدونها مع الله عز وجل .

(وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : أي: تعلمون أنّه لا ندّ له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(قال ابن كثير.رحمه الله تعالى.: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)

ابنُ كثير هو : هو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الحافظ المشهور صاحب التفسير وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى توفي سنة٧٧٤ للهجرة .

أمّا كلامه رحمه الله فهو واضح وفيه إلزام الناس بتوحيد الألوهية بتوحيد الربوبية؛ فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية ولابُدّ .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى :

(وأنواعُ العبادة التّي أمر الله بها مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان)

لمّا بَيّن الشيخ رحمه الله أن الله هو ربّنا وربّ جميع العالمين ، وبيّن أنّ الرّب هو المعبود ، وأنّ الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ، واستدل على ذلك بآية البقرة وبيّن كذلك أنّ الله عز وجل لم يخْلقنا سُدى ولم يتْرُكنا هُمَلا، بل خلقنا لغايةٍ جليلة وأمرٍ عظيم ألا وهو عبادته سبحانه وتعالى والله تعالى أمَرَنا بعبادته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وأمرنا كذلكَ أن تكون هذه العبادة له وحدهُ لا شريك لإحد معه فيها ، بعد هذا كلِّه ناسبَ أن يُبيّن لنا أنواع هذه العبادة التي تجب لله وحده ولا يجوز صرفها لغيره ، والإشراك بالله فيها شيئًا ،

وسبق أن عرّفنا **العبادة** وقلنا هي في اللغة : الخضوع والتذلّل .

يُقالُ : طريق معبّد أي مُذلل .

وأمّا في الشرع : فهي كما عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله تعالى . : **(اسم جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة).**

قوله : **(اسم جامع):** أي: يجمع أشياء كثيرة ؛ هذه الأشياء الكثيرة هي كلّ ما يحبّه الله ويرضاه ؛ فإذا أمرك الله عزَّ وجل بشيء فاعلم أنّ الله يحبّه ويرضاه، وإذا نهاك عن شيء فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يُحب مِنك أن لا تقترب منه.

والعبادات حَسَبَ التعريف أقوال وأعمال : فالعبادات :

إمّا أن تكون قولية ،

وإمّا أن تكون عملية ؛

هذه العبادات القولية أوالعملية إمّا أن تكون :

ظاهرةً : أي ظاهرة على جوارح العبد أي: على أعضاءِهِ

وإمّا أن تكون **باطنة :** أي بالقلب .

قد يكون القول : ظاهراً ، وقد يكون باطناً ، وقد يكون العمل : ظاهرا ، وقد يكون العمل باطنا .

قول اللسان : أعمال كثيرة ممّا أمر الله عز وجل بها مثل الذكر وتلاوة القرآن.

قول القلب : هو نيته وقصده .

وأما بالنسبة للعمل :

عمل القلب : كالتوكل .

وعمل الجوارح كالصلاة ، والصيام، وغيرها .

وعبودية الناس لربّ العالمين تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة :

فالعبوديّة العامة : تشمل الجميع الكافر والمسلم البرّ والفاجر ؛ قال الله تعالى : (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا) ؛ وهذه عبودية قَهرٍ ، وتصرفٍ ، وتذللٍ.

وأمّا العبودية الخاصّة : هذه خاصة بعباد الله المؤمنين ، قال الله تعالى :(وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ، وقال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)، وهذه عبودية الطاعة والتقرب إلى اللهِ بالتوحيد

والمؤلّف رحمه الله تعالى أعطانا ضابطاً للعبادة ؟ وهو كلّ ما أمرنا الله به لأنّه قال : **(وأنواعُ العبادة التي أمَرَ الله بها)** ؛ فالعبادة تُطلق على جميع ما أمر الله به على وجه اللُّزوم أو الاستحباب وعلى جميع مانهى الله عنه على وجه التحريم أو الكراهة ؛ وعليه فالعبادة هي: الأوامر ، والنواهي .

ومن شروط قَبول هذه العبادة :

- **الإخلاص :** أن تكون عبادتك خالصةً لله وحده لا شريك له فيها .
- **والمتابعة :** أن تكون في هذه العبادة متبعًا للنبيّ صلى الله عليه وسلم .

والشيخ رحمه الله جعل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان من أنواع العبادة ؛ مع أنّها مراتب ومجموعات تضم وترجع إليها العبادات الأخرى ؛ هذه الثلاث هي الدّين كلّه كما مرّ معنا ؛ وهي مذكُورة في حديث جبريل الطويل . الذي سيأتي إن شاء الله في موضعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم في آخره : (هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينَكم) فسمّى هذه الثلاث دينًا ؛ ونذكرها على وجه الإيجاز وسيأتي تفصيلها إن شاء الله :

سبق وأن عرفنا **الإسلام** وقلنا : هو في اللغة : **الاستسلام** .

وفي الشرع : **هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .**

وأركانه خمسة شهادةُ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصومُ رمضان ، وحجِّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

أمّا بالنسبة **للإيمان** ففي اللغة : **هو التصديق.**

وفي الشرع : **هو قولٌ باللسان ، واعتقادٌ بالجَنان ، وعملٌ بالأركان ، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بمعصية الرحمن .**

وأركانه ستّة : أن تؤمن بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيرِهِ وشرّه

وأمّا الإحسان : **فهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراهُ فإنّه يراك وهذا أعلى مقاماتِ أنواع العبادة .**

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى:

(ومنه الدعاءُ ، والخوفُ ، والرجاءُ ، والتوكلُ ، والرغبةُ ، والرهبةِ ، والخشوعُ ، والخشيةُ ، والإنابةُ ، والاستعانةُ ، والاستعاذةُ ، والاستغاثةُ ، والذبح ، والنذرُ ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلّها) .

ذكر المؤلّف . رحمه الله تعالى . هنا جملة من العبادات عددها أربعة عشر نوعا من العبادة عدَا الإسلام ، والإيمان ، والإحسان وذكرها هنا إجمالا وسيبدأ بتفصيلها مع ذكر أدلتها ، والشيخ رحمه الله أوْرد هذه الأمثلة للعبادة من باب التمثيل لا الحصر ؛ لأنّ العبادات كثيرة وكثيرة جداً لكنّ الناس غالبًا ما يقعُون في الشرك بالله تعالى في هذه المذكُورات ، وبدأ بالدّعاء لأنّ الإشراك فيه أكثر.

والمؤلّف رحمه الله تعالى أرادَ أن يشمل بالتّمثيل أقسام العبادات كلّها ، فبعض هذه العبادات التي ذكرها . رحمه الله تعالى . أقوال ، وبعضها أعمال، بعضها ظاهرٌ ، وبعضها باطن ، وسيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

(والدليل قوله تعالى : {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا }.

المساجد مرّ معنا وقلنا بأنّها تُطلَق ويُرادُ بها هذه المساجد المُعدّة للصلاة . الجوامع . ، ويُراد بها كذلك أعضاء السجود السبعة وتطلق على الأرض كلّها . هذه المساجد ملكٌ لله تعالى ، (فَلَا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا) : لا دعاء عبادةٍ ولا دعاء مسألةٍ .

فإذَا حُمِل معنى الدعاء في الآية على معنى دعاء العبادة فيكون معنى الآية: { فلا تَعبدُوا مع الله أحدا } .

وإذا حُمِل على دعاء المسألة فيكون معنى الآية : فلا تسألوا على وجه التعبُّد أحدا.

والمعنيَيْن مُحْتملَين لأنّه لا يوجد عندنا قرينةٌ نرجّح بها أحد المعنيَيْن عن الآخر؛ فلو حَملْنا معنى الدّعاء في الآية على دُعاء المسألة فقط لكان تحكماً بغير دليل .

ووجهُ الدلالة من الآية على أنّ العبادة حقٌ خالص لله تعالى ظاهرٌ في النّهي الوارد في الآية :

(فَلَا تَدعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا) : فـ (أحدًا): هنا نكرة في سياق النهي الذي هو (فلا تدعوا) وقلنا سابقا بأنّ النكرة في سياق النهي تفيد العموم، فهي تشمل كلّ أحدٍ ولو كان ملكًا مُقربًا أو نبيًا مُرسلا ، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده وهو: اعبدوا الله وحده وأفردوه بالعبادة .

ثُمَّ قال .رحمه الله تعالى .:

(فمن صَرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر) :

فإنّ من صرف أو توجه بأيِّ نوعٍ من أنواع هذه العبادة شيئا ولو قلّ لغير الله أيًا كان هذا المُشْرَك فهو مُشْرِكٌ كافر لأنّه عبد مع الله غير الله ؛ والله سبحانه وتعالى أمرنا بعبادته وأمرنا في هذه العبادة أن تكون خالصةً له وحده لا شريكَ لهُ فيها .

ثمّ قالَ رحمهُ الله :

[والدليلُ قوله تعالى : { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}]

(ومن يَدْعُ) : أي من يعبد ، ومن يسأل غير الله مع الله ؛ فهي تشمل دعاء عبادة ، ودعاء مسألة.

(لا بُرْهانَ لَهُ) : هذه صفة، كاشفة مبيّنة لواقع من يدعو مع الله إلها آخر .

وفي هذه الآية حَكَم الله على من يدعو مع الله إلها آخر بالكفر؛ (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرونَ) .

والشيخُ رحمهُ الله جاءَ بهذه الآية وبما قبلها ليستدلَ على أنَّ كل من جعل نصيباً من العبادة لغير الله فهو مشركٌ كافر ، هذا والعلمُ عند الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر ، وسبحانكَ اللهم وبحمدك ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت استغفركُ وأتوب إليك.



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (6)

التاريخ : الخميس 20 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس السادس من دروس شرح الأصول الثلاث

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا و من سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ الله فلا مُضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، أمّا بعد:

فإنّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله تعالى، وخيرَ الْهَدْيِ هَدْيُ محمد صلى الله عليهِ وسلم، وشَرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النّار.

شيخُ الإسلام العالم الإمام: ***مُحَمَّد بن عبد الوَهّاب*** رحمه الله تعالى، عالم رباني و مُجَدّد للدين الإسلامي، رَبَى طلاب العلم على صغار العلم قبل كباره وأنت ترى ذلك جَليّاً في هذه الرسالة التي نحن نسيرُ معكم فيها، وهو يتدرج بنا ويصعد بنا درجةً درجة، خُطوةً خُطوة، وهذا يفيد طالبَ العلمِ كثيراً؛ فإنّه كما سبق معنا فإنّ العلم لا يُرامُ جملة واحدة وإنّما بالحديث والحديثين؛ ومع طولِ الزّمن وإخلاص النيّة والقصد يُحَصّلُ المرء علماً كثيراً ومتيناً بإذن الله تعالى.

فجاءَ أولاً بالمسائل الأربع التي في سورة العصر والتي يَجبُ تَعلُّمُها، فجنس الإنسان كلّه في خسران إلّا من اتّصَفَ بهذه الصفات الأربع وذَكَرَ أنّ أولى هذه المسائل: (العلم) ، والعلمُ هُو: معرفةُ العبد ربَّه ودينَه ونبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ بمعرفة العبد ربَّه وهذا هو الأصلُ الأول من هذه الأصول الثلاثة؛ التي قلنا أنّها هي أسئلة القبر لأنّ الإنسان إذا وُضع في قبرِهِ يأتيهِ ملكان فيسألانِهِ عن الرّب وعن الدينِ وعن الرسول، وحينها: { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}، وذكرَ أنَّ معرفة الله تكون بآياتهِ ومخلوقاته، وأنّه هو ربّ العالمين، أي: خالقهُم ومالكهُم والمتصرف فيهم؛ هذا الخالق لكلّ هذه الأشياء هو المُستحقُّ للعبادة، واستدل على ذلك بآية البقرة، هذه العبادة التي خُلق لأجلها الجنّ والإنس يجبَ أن تكون لله وحده لا شريك له فيها، ناسب بعد كلّ هذه المراحل وكلّ هذه الدرجات أن يُبين لنا أنواع العبادة التي تجب لله وحده ولا يحوز صرفها لغيره، ذكرها مجملةً كما مَرَّ معنا في آخر الدرس الماضي، والآن سيذكرها واحدةً واحدة بأدّلتِها.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نال ما نال من المدح والثناء والدعاء مِمَّن عاصره وعرف دعوته، وممن جاء بعده إلّا لأنّه يربطُ أقواله بالدليل، فلا يقول قولاً ولا يتكلمُ من غيرِ دليل، والشيخُ رحمه الله تعالى **استعمل طريقتين في استدلالهِ بالأدلة على كونِ هذه المذكورات عبادات لا يجوزُ صرفها لغير الله تعالى:**

الطريقةُ الأولى: **طريقةٌ عامّة:** الشيخ رحمه الله تعالى يستدلُ على أنّ هذه المذكورات عبادات، فإذا ثبتت بالدليل كونُها عبادةً حينئذ يستدل لك بالأدلة العامة التي مَرّتْ معنا في آخر الدرس الماضي أنّه لا يجوزُ صرف أيّ نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، ومن صرفها لغير الله فهو مشرك كافر ، ومن تِلْكمُ الأدلّة التي استدل بها الشيخ رحمه الله تعالى على أنّه لا يجوز صرف العبادة لغير الله تعالى كما مرّ معنا قول الله تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ اللهِ أَحَدًا }، وكذلكَ قولهُ تعالى :{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُ بِهِ فإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

أمَّا الطّريقةُ الثانية : فهي **طريقةٌ خاصّة:** وهذه ستَمرُّ معنا أثناء سرد الأدلة ونرى أنَّ المؤلف جاء بالأدلة، هذه الأدلّة فيها أنّ صرف هذا النوع من العبادة بحدّ ذاته دون غيره من العبادات صرفه لغير الله شرك.

وهذا من الشيخ رحمه الله تعالى تنويعٌ في طريقة الاستدلال فقد يُنازِعُ أحدهم في دليل ويتنكر له فإذا أحاطت به الأدلة من كلّ جانب عسى الله أن يشرح صدرَهُ ويقبل الحقّ وهذا الذي نرجوهُ والله هو المُوَفّق وهو الهادي الى سواء السبيل.

قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[وفي الحديث: "الدُّعاءُ مُخُّ العبادة"، والدليل قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني اسْتَجِبْ لَكُمَّ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ".]

بدأَ الشيخُ رحمهُ الله تعالى بالدعاء؛ لمنزلةِ الدّعاءِ من العبادة ولأنَّ الشرك فيهِ أكثر من غيرهِ.

استدلَّ الشيخ رحمه الله تعالى بحديث: "الدُّعاء مُخُّ العبادة" وهو حديث ضعيف لكنّ معناه هو معنى الحديث الصحيح حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي رواه أبو دواد والترمذي

وجماعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "الدُّعاءُ هُوَ العبادة" وهذا دليل على أنّ الدعاء هو العبادة وهو يبين لك منزلة الدعاء من العبادة كمنزلة عرفة في الحجّ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحَجُّ عَرَفة"، فإنّ الوقوف بعرفة أعظمَ أركان الحجّ؛ ولا يعني هذا أنّ الحجّ كلّه هو عرفة فهنا - كذلك - ؛ ليست العبادة محصورة في الدعاء لكنَّ الدعاء أعظمُ أنواعها، واستدل الشيخ كذلك بقوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"، وفي هذه الآية أمور:

الأمرُ الاول: أَمَرَ الله عباده بدعائهِ.

ثاني الامور: وَعدهُم على الدعاء بقسميه دعاء المسألة بالإجابة بتلبية الطلب، وعلى دعاء العبادة بالإجابة بقبول هذه العبادة والثوابَ عليها.

وأمر آخر: سَمَّى الدعاء عبادة في الآية لأنه قال في آخرها: "{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}"وإنّما أُطْلِقت العبادةِ على الدُّعاءِ لمنزلة الدعاء من العبادة كما تقدم في الحديث.

والله عزَّ وجلَّ غَنيَّ عنَّا، وغني عن دعائنا ونحن بحاجةٍ الى دعاء الله؛ ومع ذلك سَمَّى الله عز وجل تارك الدعاء مستكبراً.

اللهُ يغضب إن تركت سؤاله *** وبُني آدم حين يُسأل يغضبُ

ثم هذا الدعاء أقسام، ومرّ معنا هذا كثيراً، وهو **ينقسم إلى دعاء عبادةٍ ودعاء مسألةٍ:**

دعاء العبادة: بأن يتعبُّد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، كالصلاةِ والصيامِ وغيرهما، هذا النوع من الدعاء صرفهُ لغير الله تعالى شركٌ أكبر.

دعاء المسألة:وهو دعاء الطَّلب، طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر،

وهو ينقسم إلى قسمين:

* فيما لا يقدر عليه إلّا الله كإنزال المطر وطلب الولد، وهذا صرفه لغير الله شركٌ أكبر.

* وأمَّا فيما يقدر عليه المخلوق كأن تقول لأحدهم: أطعمني، هذا جائز، لكن بشرط أن يكون: **حياً حاضراً قادراً.**

ثُمَّ الناس في الدعاء أقسام:

* فمنهم من **لا يدعو الله أصلاً**، وهذا مستكبرٌ عن عبادة الله تعالى كما في الآية.

* ومنهم من **يدعو الله ويدعو غيره معه** وهذا مشركٌ باللهِ العظيم.

* ومنهم من **يدعو الله وحده** وهذا هو المُوَحّد.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[ودليل الخوف قوله تعالى: "فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ".]

الخوفُ: هو الذُّعر، وهو انفعالٌ يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر.

والخوف محلُّه القلب، لكن قد يظهر أثره على الجوارح.

والآية التي استدَّل بها الشيخ رحمه الله تعالى نزلت بعد غزوة أحدٌ كما قال ذلك غير واحد من المفسرين حينما قيل: إنّ قريشاً تعدُّ لكم العدّة لِتستأصلَ شأفَتَكم، فقال تعالى: "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ".

في قوله تعالى: [فَلَا تَخَافُوهُم]: نهي من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين عن الخوف من غيره.

وفي قوله تعالى: "وَخَافُونِ": أَمَرٌ بالتعبُّدُ له بالخوف.

وقلنا سابقاً بأن المؤلف رحمه الله تعالى عَرَّف العبادة بما أمر الله به وجميع ما أمر به شرعاً فإنّه يحبّه ويرضاه، فإنَّكم تذكرون قول المؤلف رحمه الله تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها، فجعل العبادة ما أمر الله به، ومَرَّ معنا كذلك تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للعبادة وأنّه عرّفها بقوله: **بأنها اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّهُ الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.**

والخوف من الله أَمَرَ الله به، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بأمر شرعي إلّا وهو يحبّه ويرضاه، وفي هذا دليلٌ على أنّ الخوف من الله عز وجل يحبّه الله ويرضاه، وفي هذا دليلٌ على أنّهُ عبادة، وإذا ثبت أنّ الخوف من الله عز وجل عبادة؛ فلك أن تستدلَّ بالأدلّة العامة التي تخبر بأنّ من صرف العبادة لغير الله فهو مشركٌ كافر، وهذه هي الطريقة العامّة كما - قلنا - ولكَ أن تستدل كذلك بالآية التي ساقها المؤلف رحمه الله تعالى دون الرجوع إلى الأدلّة العامّة لأنّ الله تعالى جعل الخوف منه

شرطاً لحصول الايمان فلا إيمان دون خوف منه سبحانه وتعالى، قال في الآية: {وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤمِنينَ} وهذه هي الطريقة الخاصّة للاستدلال على أنّه لا يجوز صرف عبادة الخوف من الله لغير الله، وهذا تنويع في الاستدلال كما مَرَّ معنا.

هذا الخوف ينقسم الى:

خوفٌ واجب : وهو المذكور في الآية، وهو خوفُ العبادة والتعظيم وخوفُ السّر؛ وهذا الخوف خاصٌ بالله تعالى، وهذا النوعُ صرفه لغير الله شرك أكبر، وهو شرطٌ في الإيمان، ولا إيمان بدونه كما سبق، فنحن نتعبَّدُ لله سبحانه وتعالى بالخوف منه فلا نخاف إلّا الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله؛ كالذين يخافون من القبور ومن الأضرحة أن تمسهم بسوء أو أن تنزل بهم البلاء فيذهبون يعبدونها ويعظمُّونها، ويتقربونَ إليها بصنوف العبادات، فيقدُّمونَ لهم الذبائح والنذور والأطعمة وغير ذلك، كإلقاء النقود على أضرحتهم لدفع ضررها خوفاً منها، وهذا شرك أكبر، فمن فعل ذلك صار مشركاً؛ وإن صلى وصام، وإن زعم بأنّه مسلم، ومن الصور كذلك ما يحدث من كثير من المشركين الجُهّال فتقول له: احلف بالله، فيحلف كاذباً ولا يبالي؛ لكن إن قلت له: احلف بالوليّ الذي يُعَظّمه، يحجم ويخاف ولا يحلف؛ فخوفه من الولي خوف سر - خوف سرٍ أن يصيبه هذا الولي بشيء - أكبر من خوفه من الله ربّ العالمين.

هذا الخوف الواجب الذي لا يجوز صرفه لغير الله، قد يكون محموداً وقد يكون محرماً :

فالمحمود منه: ما حَمَل صاحبه على فعل الطاعة وترك المعصية.

والمُحَرّم: ما حمل صاحبه على القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فيبقى في المعصية ولا يتوب منها؛ وهذا الخوف المُحَرّم خوفٌ من الله لكنّه زائد عن حدّه.

ويلحق كذلك بالخوف المُحَرّم الخوف من غير الله الذي يُؤدي لترك واجبٍ أو فعل مُحرمٍ كأن يخاف من الخلق أن يعيبوه في أداء واجب فيتركه مُجاراة لهم، فهذا مُحرَمٌ غيرُ جائزٍ.

وهناك خوفٌ مباح : وهو **الخوف الطبيعي**: كخوف الإنسان من النّار ومن السباع، قال تعالى واصفاً حال موسى عليه السلام: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} أي: من البلد، فموسى عليه السلام حصل معه هذا النوع من الخوف الطبيعي.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الرجاء قوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمُلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}]

الرَّجاءُ: هو الطمع في أمر محبوب.

والرَّجاءُ من العبادات القلبية وهو قسمان:

قسم مباح: وهو أن ترجو من المخلوق شيئاً يَقْدِرَ عليه (أرجوك أن تفعل) وبمقدورهِ فعل هذا الشيء الذي رجوته منه، وهذا ليس من العبادة وليس المقصود معنا.

وقسمٌ ممنوع: وهو رجاء غير الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض، وهذا رجاء عبادة وصرفه لغير الله شرك وهو المقصود.

وعلى العموم فالرجاء المُتَضمّن للذلّ والخضوع لا يكون إلّا لله عز وجل؛ وصرفه لغيره شرك.

المؤلف رحمه الله تعالى استدل بقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَل عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

والمعنى: من كان يطمع في ثواب الله عز وجل ورؤيته عيانا يوم القيامة وفي الجنّة فليأت بالسبب الذي يحقق رجاءه وهو العمل الصالح بركنيه: **الإخلاص** لله تعالى و**المتابعة** للنبي صلى الله عليه وسلم، والحذر من الشرك كبيرِهِ وصغيرهِ، فامتدح الله في هذه الآية من رجا الله وفي هذا دليلٌ على أنّ الرَّجاء عبادة.

والإنسان في سيرهِ إلى الله يجمع بين الخوف والرجاء، فهما للإنسان بمثابة الجناحين للطائر، فإذا استقاما استقام طيرانه؛ واذا سقط أحد الجناحين سقط وصار في عداد الموتى؛ فمن سار بالخوف بدون رجاء هَلَك وحمله ذلك على اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن سار بالرَّجاء دون الخوف هلك فأَمِنَ عقوبة الله تعالى وصار يفعل المعاصي ولا يُبالي، فالمؤمن حقاً وصدقاً يخاف الله ربّ العالمين فيعبده ويطيعه ولا يعصيه ومع ذلك يرجو عفوه ومغفرته، ويرجو رحمته وجزاءه.

ثُمَّ قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[وَدليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى : {وَعَلى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ } وقوله :{ وَمَنْ يَتَوَّكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }]

التَّوكُّل: هو الاعتماد، اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار.

والتوكل من أعظم العبادات القلبية؛ بل هو من علامات الإيمان وصدقه.

قال الله تعالى: { وَعَلى اللّهِ فَتَوَكَّلوا إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ }.

تقديم المعمول الذي هو: (وَعَلَى اللَّه) على العامل الذي هو: (تَوَكَّلُوا) يفيد الحصر، أي: توكلوا على الله وحده لا على غيره، ومن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن؛ وهذا دليلٌ خاصٌ كما قدمنا على أنّه لا يجوز التوكل على غير الله، وفيها دليل عام على أنّ التوكل عبادة لأنّه مما أمر به الله سبحانه وتعالى، وما دام أنّها عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وإذا صدق العبد في توكله على ربّه كفاه حاجته لقوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }، أي: كافيهِ، ومن كان الله كافيه فلا مَطْمعَ لأحدٍ فيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ التوكل لا يُنافي الأخذ بالاسباب المشروعة؛ ومن ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين كان يأخذ بالأسباب فأنت تعمل الأسباب وتأخذ بها، لكن لا تعتمد عليها ولكن تعتمد على الله سبحانه تعالى.

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عمر رضي الله عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم: " لَوْ أنَّكُم تَتَوكلونَ على الله حَقَّ تَوكّله لرزقكُم كما يرزقُ الطَّير تَغدو خِماصا وتعود بِطانا". والمعروف أنّ الطيور لا تمكث في أوكارها بل تخرج وتبحث عن طعامها؛ وهذا من اتخاذ الاسباب.

والتوكل منه ما هو :

واجب وصرفه لغير الله شرك أكبر : وهو: الاعتماد المطلق على الله وتفويض جميع أموره اليه، واعتقاد أنّ بيده جلب المنافع ودفع المضار.

ومنه ما هو شرك أصغر: وهو اعتماد على حيٍّ مع الافتقار، كالاعتماد على الأمير في حصول المعاش ونحوه، مع الافتقار والتذلل.

والتوكيل جائز وقد وكّل النبي صلى الله عليه وسلم في شؤونه الخاصة والعامة، وهذا ليس من العبادة.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى:

[ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : { إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }]

الرَّغبة: هي طلب الشيء المحبوب.

والرَّهبة: هي الخوف المثمر للهرب من المخوف، خوف مقرون بعمل؛ وعلى هذا تكون كلّ رهبة خوفاً وليس كلّ خوف رهبة، فالخوف أعَمُّ من الرهبة، وقيل: هي بمعنى الخوف.

أمّا الخشوع فهو نوعٌ من التذلل والخضوع لله عز وجل.

في الآية "إِنَّهُم كَانُوا" أي: الأنبياء.

" يسارعون في الخيرات " أي: يتسابقون اليها.

" ويدعوننا " أي: يدخل فيه دعاء العبادة ودعاء المسألة.

"رغباً ": ويدعوننا رغبا، أي: طمعا في ثواب الله تعالى، " ورهباً " : خوفاً من عقابه.

ومن صفاتهم الجمع بين الرغبة والرهبة.

قال الله تعالى في الآية الأخرى: { وادعوه خَوْفًا وَطَمَعًا } فقلوبهم طامعة فيما عند الله تعالى من الثواب، هاربة من وعيده، وقال كذلك في آية أخرى : { أُولَئِكَ الَّذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِم الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }، فاحرص على الجمع بين الرغبة والرهبة.

وفي آخر الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله قوله تعالى: "وكانوا لنا خاشعين" أي: متذللين.

وأصل الكلام: (وَكَانُوا خَاشِعِينَ لَنَا) وتقديم الجار والمجرور على العامل يفيد الحصر والاختصاص.

المعنى: أنّهم كانوا لنا خاشعين لا لغيرنا؛ فالخشوع من أعمال العبد المختصة بالله تعالى، وهو عبادة ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وهذه الثلاث استدل لها المؤلف رحمه الله بهذه الآية، وذلك أنّ الله عزّ وجل امتدح وأثنى على أنبيائه باتصافهم بهذه الأوصاف (الرَّغبة والرَّهبة والخشوع) وهذه الثلاث صفات ممدوحة يحبّها الله ويرضاها، فهي عبادات ولا يجوز صرفها لغيره.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل الخشية قوله تعالى: {فَلاَ تَخْشَوهُم واخْشَوْنِي }]

الخشية هي خوفٌ مبنيٌ على العلمِ بعظمة من تخشاه وكمال سلطانه، وعليه فالخوف أعمّ من الخشية والخشية أخصّ من الخوف، فكلّ خشية خوف لا العكس.

الخوف لا تدري أنّه قادرٌ عليك أم لا، أمّا الخشية فأنّك تعلم أنّه قادر عليك.

واستدلال المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الآية دليلٌ على أنّ الخشية عبادة؛ وذلك أنّ الله أمر بخشيته وقال: {وَاخْشَونِي} وكلّ ما أمر الله به فهو عبادة يحبّها الله ويرضاها.

والأمر بالشيء بعد النهي عن ضده يفيد الاختصاص؛ فالله عز وجل أَمَر بخشيته بعد أن نهانا عن خشيتهم، وهذا الأسلوب يفيد الإختصاص، أي: أنّ الخشية من الأفعال المختصة بالله تعالى، فلا تخشوا على وجه التعبد والتعظيم إلّا الله سبحانه وتعالى.

والخشية كذلك لها اقسام، وأقسامها كأقسام الخوف المتقدمة.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الانابة قوله تعالى :{ وأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم وَأَسْلِمُوا لَهُ }].

الإِنابةُ: هي الرجوع إلى الله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية، وهي قريبةٌ من معنى التوبة؛ إلّا أنّ الإنابة فيها معنى التوبة وزيادة؛ و هي بمعنى التوبة التي هي الرجوع وتزيد عليها بمعنى آخر وهو: **(الإقبال على فعل الخيرات والمسارعة فيها)** قال الله تعالى: "وأنيبو ألى ربكم" أمرٌ من الله بالإنابة. وهذا يُفيد بأنّ الإنابة عبادة، وفي قوله تعالى: "إلى ربكم" دليلٌ على أنّ الإنابة لا تكون إلّا لله عز

وجل، فالله هو الذي يتوب على عباده ويغفر لهم، { وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا اللهُ }، وفي هذه الآية دليل عام وخاص أنّه لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى، وفي قوله: "وأسلموا له" أي: استسلموا لأحكام الله الشرعية.

ثم قالَ رحمه الله تعالى :

[ودليلُ الاستعانة قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وفي الحديث: (إِذَا اسْتَعَنتَ فاسْتَعِنْ بالله).]

الاستعانة: هي طلب العون.

قلنا طلب لماذا؟ لوجود همزة الوصل والسين والتاء (اسْتـ) فإذا دخلت (استـ) على الكلمة أفادت الطلب؛ وذلك في الكثير الغالب، فالاستعانة طلب العون.

وفي قول الله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، أصل الكلام: نعبدك ونستعين بك، لكن من أساليب اللغة أن تقديم ما حقّهُ التأخير وتأخير ما حقّهُ التقديم يفيد الحصر؛ فلا نعبد أحداً سواك، ولا نستعين إلّا بك، لأنّه إذا قلت: نعبدك ونستعين بك، فإنّ هذا يفيد: أنّك تعبده وتستعين به لكن لا يمنع أن تعبد وأن تستعين بغيره، لكن عند أن جاءت بهذا اللفظ: "إيَّاك نعبد وإياك نستعين" أفادت أننا نعبدك ونستعين بك، ولا نعبد ولا نستعين بأحدٍ سِوَاك، فحصرت العبادة والاستعانة به سبحانه وتعالى.

وفي الحديث: "إذا استعنتَ فاستعنْ بالله" وهذا جزء من حديث ابن عباس عند الترمذي رحمه الله، وفيه أمرٌ بالاستعانة بالله، وهذا يدلّ على أنّ الاستعانة عبادة،

وهي تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهذه جائزة بشرط أن يكون: **حيّاً حاضراً قادرًا** كأن تستعين بأحدٍ أنْ يَبني لكَ جداراً أو أن يحمل متاعك، فإن كان حيّاً حاضراً جاز وإن كان غائباً أو ميتاً فهذا شرك.

القسم الثاني من أقسام الاستعانة : الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه وتعالى، وهذه شرك أكبر كالاستعانة بالمخلوق في إنزال المطر.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل الأستعاذة قوله تعالى: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلُق } وَ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }]

الاستعاذة: **طلب العوذُ، أي: الحماية من المكروه**، قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ } أمرٌ من الله لنبيه وأمته تَبَعٌ له في ذلك بطلب العوذ من الله تعالى، وفي هذا دليل على أنّ الاستعاذة عبادة.

و "الفلق": **هو الصبح**، وقِيلَ: الفلق **هو الخَلق** وعلى التفسيرين فإنّ ربّ الفلق هو الله سبحانه وتعالى.

"مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ": يشمل شرّ جميع المخلوقات.

"وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَب": الغاسق: **ظلام الليل**، إذا وَقَب: **إذا أَقبل.**

"ومن شرّ النفاثات في العقد" : من شرّ السواحر، فأنت تستعيذ بالله من شرّ السحر والسواحر.

"ومن شرّ حاسد إذا حسد": **الحاسد:** هو الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير، وهو من الخصال المذمومة لأنّه اعتراض على قسمة الله وإساءة إلى الخلق.

والدليل الثاني الذي استدل به الشيخ رحمه الله تعالى هو قول الله تعالى في سورة الناس: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } أَمْرٌ من الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة به.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ: هذه كلّها أسماء وصفات لله تعالى.

وفي هذه الآيات إشارةٌ إلى أنواع التوحيد الثلاثة :

- " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ": **توحيد الربوبيّة.**
- " مَلِكِ النَّاسِ ": **توحيد الأسماء والصفات.**
- " إِلَه النَّاسِ ": **توحيد الألوهيّة.**

وعليه فعلماء أهل السّنة والجماعة حين قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام لم يقسّموه لهوىً في أنفسهم أو تقليداً لغيرهم؛ ولكن قَسَّمُوهُ بعد اسْتقراء أدلّةِ الكتابِ والسنة.

ثم قال تعالى: { مِنْ شَرِ الوَسْواس الخَنّاس} **الوسواس** : هو الشيطان الرجيم لأنّه يوسوس للإنسان وُيخيّل إليه، والخنّاس هو كذلك الشيطان الرجيم فإنّ الشيطان إذا غفلت عن ذكر الله وسوس، وإذا ذكرت الله عز وجل خنس، أي: تأخر وابتعد، {الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس}

لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوَّذ بِمثلهما"، يعني: بسورة الفلق وسورة الناس، والحديث أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

والأستعاذةُ كذلكَ تنقسم إلى قسمين :

- الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهي جائزة بشرط أن يكون: **حياً حاضراً قادراً** .
- الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله، وهذه صرفها لغير الله شرك أكبر.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}]

الاستغاثة : هي طلب الغوث و هو الإنقاذ من الشدّة والهلاك.

قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} الله عزَّ وَجَلّ ذَكَّرَ المسلمين بوقت استغاثتهم بالله تعالى وطلبهم إزالة ما نزل بهم من شدّة في غزوة بدرٍ فاستجاب لهم وكشف عنهم الضر ونصرهم يومئذ.

استدل الشيخ رحمه الله بهذه الآية على أنّ الاستغاثة عبادة ووجه الدلالة منها أنّ الله عز وجل رتب الإستجابة على الإستغاثة، والله سبحانه وتعالى لا يستجيب إلّا لعملٍ يحبّه ويرضاه.

وهي قسمان كالاستعانة والاستعاذة تماماً :

القسم الأول منها : الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهي جائزة بشرط أن يكون: **حيّاً حاضراً قادراً**، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} وموسى عليه الصلاة والسلام حي، وموسى حاضر، وموسى قادر صلى الله عليه وسلم.

أمّا القسم الآخر منها :فهي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه وتعالى وهذه صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر.

هذه العبادات الثلاث الأخيرة والتي هي (الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة) تدخل تحت معنى الدعاء، ودعاء المسألة يشملها جميعا ويزيد عليها، فالدعاء أعَمّ، وهذه أفراد خاصة تدخل تحت معنى الدعاء لذلك ترى أنّ أقسامها نفس أقسام دعاء المسألة التي هو طلب وهذه الثلاث كلّها قلنا فيها همزة الوصل والسين والتاء (استـ) فهي طلب، فيتنبه الطالب إلى ذلك فيحصرها في ذهنه ويقيدها كيلا يتشتت.

ثم قال المؤلف رحمه تعالى:

[وَدَليلُ الذبح قوله تعالى: {قُلْ إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحيْايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَريكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِين }، ومن السُّنة(لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغير الله)]

الذبح : هو إراقة الدم وهو من العبادات الظاهرة.

وأمّا الشاهد من الآية فهو قوله تعالى: (وَنُسُكِي)، ذكر ابن جرير - رحمه الله - إنّ النسك في هذه الآية يُقصد به الذبح، فكما أنّ صلاتك لله ربّ العالمين فكذلك ذبحك يكون لله وحده لا شريك له في ذلك.

(وبذلك أُمِرْتُ) أي: أمرت بإخلاص هذه العبادات لله سبحانه وتعالى.

وأمّا الحديث الذي استدل به الشيخ رحمه الله فهو في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه.

ومعنى: (لَعَنَ اللهُ) **اللعن من الله** : هو الطرد من رحمته سبحانه وتعالى، لأنّه أشرك بالله حين ذبح لغير الله سبحانه وتعالى.

ويُفْهَم من الآيه ومن الحديث أنّ الذي يقصد بذبحه الله سبحانه وتعالى وحدهُ فهذا يكون ممدوحاً عند الله تعالى ومحبوباً وعليه فإنّ الذبح عبادة.

والذبح إمّا أن يكون : ذبح عادة أو ذبح عبادة.

فذبح العادة : هذا لا أجر ولا وزر فيه، كشاةِ اللَّحمِ والتّجارة والولائم، فهو ليس بعبادة ما لم تدخله نِيَّة، فإذا أراد به عفاف أولاده وأهله والنفقة عليهم أُجر، وإِنْ أرادَ بهذا الذبح الكبر والخيلاء أثم.

وذبح العبادة : قد يكون شرعيًّا، وقد يكون شركيًّا.

فالشرعيُّ:

منه ما هو: **واجب** كالهَدي.

ومنه ما هو: **مستحب** كالاضُحية على الراجح.

والشركيّ هو الذبح لغير الله بقصد تعظيم المذبوح له والتقرب إليه والتذلل إليه.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل النذر قوله تعالى { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}]

النَّذْرُ: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه بأصل الشرع.

والنذر : إمّا أن يكون شرعيًّا، وإمّا أن يكون شركيًّا:

فالشرعيّ: ما كان لله سبحانه وتعالى، وقد يكون مُطْلقاً، وقد يكون مقيداً.

فالمُطلق : **الذي لم يُقَيَّد بشيء**، فيقول مثلا: نذرت، أو: لله عليّ أن أصوم يوماً في سبيل الله.

والمقيد : **هو ما قُيّد بشيء** ، كأن يقول مثلا: لله عليّ إن شفيت أن أصوم يوماً في سبيل الله. (قُيِّدَ بالشفاء).

وهذا الثاني (المقيد) يُسمى : نذر المقابلة وتركه أولى، لأنّه يُستخرج من الشحيح؛ لكن إذا حصل يجب الوفاء به.

والنذر الشركي : ما كان لغير الله عز وجل؛ كمن نذر لصنم أو حجر؛ فهذا نذر معصية وشرك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ الله فَليطعهُ ومن نَذَرَ يَعْصِهِ فلا يَعْصِه) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقول الله تعالى في الآية التي استدل بها الشيخ: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ).

يُحْمَل النذر في الآية على معنييه: المُطلق والمُقَّيد. فالذين يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من العبادات التي لم تكن واجبة عليهم ويخافون يوما كان شره مستطيرا، أي: يخافون يوم القيامة الذي كان شره ممتدا ظاهرا، هؤلاء امتدحهم الله سبحانه تعالى لوفائهم بنذرهم؛ وفي هذا دليلٌ على أنّ الوفاء بالنذر أمرٌ محبوبٌ عند الله سبحانه و تعالى وامتدح أهله.

وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادة لا تكون إلّا لله سبحانه وتعالى.

وبهذا يكون الشيخ رحمه الله قد انتهى من ذكر أنواع العبادة التي قلنا سابقاً أنّها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ وبه يكون قد انتهى من الأصل الأول الذي هو معرفة العبد ربّه، وسيكون درسنا القادم بإذن الله تعالى في الأصل الثاني الذي هو: [مَعْرِفة دين الإسلام بالأدلّة].

وفقني الله وإياكم للعلم النافع العمل الصالح، والحمدُ لله رب العالمين .



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (7)

التاريخ : الخميس 27 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس السابع من دروس شرح الأصول الثلاث

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أَعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَ له؛ ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلّا وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدهُ ورسولهُ، أمَّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله تعالى، وخير الهَدي هَدي مُحمدٍ صلّى الله عليه وسلم، وشَرَّ الأُمورِ مُحدثاتها، وكلّ مُحدثةٍ بِدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النّار.

قال شيخ الإسلام العالم الإمام محمد بن عبد الوهّاب - رحمه الله -:

الأصلُ الثاني: [مَعرفةُ دينِ الاسلامِ بالأدلّة].

بعد أن فَرَغَ الشيخ - رحمه الله - من بيان الأصل الأول من الأصول الثلاثة وهو معرفة العبد ربَّه وأنَّه ربُّ العالمين، ودَلَّلَ على على ذلك بالادلّة؛ وبَيَّن رحمه الله أنّ هذا الربّ هو الخالق الرازق المُدبِّر والذي يجب أَن تُخْلَص العبادة له وحده لا شريك له فيها، وبيّن خطر الشرك وفضل التوحيد، ثُمَّ ذكر بعد ذلك بعضاً من أنواع العبادةِ التّي يجب أن لا تُصرفَ لغير الله، وأقام الأدلة على كونها عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ ومن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشركٌ كافر، بعد أن ذكر هذا كلّه، وذكرناه وأَتممناهُ بحمدِ اللهِ عزَّ وجل وتوفيقه، ندخلُ على الأصلِ الثاني من هذه الأصول الثلاثة التي هي أَسئلة القبر باختصار: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟، والأصل الثاني: هو معرفة دين الإسلام بالأدلّة.

الدين: يُراد به **الطاعة**، يُقال: دانَ له، أي: أَطاعهُ.

ويُراد به كذلك: **الحساب**، قال الله تعالى: { مَالِكِ يَومِ الدِّينِ } أي: يوم الحساب.

هذا الدين الذي تدينُ لله به وتطيع الله به يجب عليك أَنتَ كطالبِ علمٍ أن تعرفه بالأدلة؛ والمراد بالأدلة هنا، أدلة الكتاب والسّنة (الأدلة السمعية) وهي نفسها (الأدلة النقلية)، ولا تكن في معرفة دينك مُقلداً أو مُتّبعاً لِهواك، فإنّ الإنسان الذي يكون هذا حاله حَريٌّ به إذا سُئِلَ في قبره أن يقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته،كما مَرَّ معنا في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، فحريٌّ بِكَ أيها الطّالب المُوفق أن تحرص غاية الحرص على تعلم دينك بالأَدلة من كتاب الله ومن سنّةِ النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكون ذلك إلّا بالتعلّم والتضحية بشيء من الجُهد والوقت والمال؛ وإذا كنتَ ممن يعرف دينه بالأدلة فحريٌّ بِكَ أن تكونَ مِمَّن يُثَبَّتُ عند السؤال.

قالَ الشيخ رحمه الله بعد ذلك في تعريف الإسلام:

[وَهوَ الاستسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطَّاعةِ والبراءةُ من الشِّرْكِ وأهله].

الإسلام في *اللغة*: **هو الإستسلام والانقياد**، يُقال: استسلم الجمل لصاحبه، أي: انقاد له.

وهو في *الشرع*: يُطلق في الكتاب والسنّةِ

ويُرَاد به أحد أمرين:

الإسلام الكوني: **وهو الإستسلام والخضوع لأمر الله الكوني**؛ وهذا الإسلام ليس للمخلوق فيه اختيار، كالموت والمرض والفقر وغير ذلك، قال الله تعالى: [وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكُرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ].

والإسلام الشرعي: **وهو الاستسلام لأمر الله الشرعي والخضوع له بفعل المأمورات وترك المنهيات،**

وهو ينقسم إلى: معنىً عام ومعنىً خاص:

المعنى العام: وهو ما عَرَّفَهُ به المؤلف رحمه الله حين قال: **الإستسلامُ للهِ بالتَّوحيدِ والإنقيادُ لهُ بالطَّاعةِ والبراءةُ من الشِّركِ وأَهلهِ**، وهذا المعنى العام يشمل دين جميع الأنبياء بلا استثناء بما فيهم دين محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلام].

<u>والمعنى الخاص:</u> وهو الإسلامُ الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم؛ وهو ناسخٌ للأديان قبله؛ وهو الذي يشمل المراتب الثلاث التي سيأتي ذكرها وهي: الإسلام والإيمان والإحسان.

المؤلف - رحمه الله - عَرَّفَ الإسلام بمعناه العام؛ وهو كما قلنا سابقا دين الأنبياء واحد؛ لكنّ الشرائع مختلفة، ثم قَيَّدهُ بعد هذه الفقرة بقوله: وهو ثلاث مراتب: الإسلامُ والإيمانُ والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان، وأنت ترى أنّ المعنى الخاص للإسلام فيه معنى الإسلام العام وزيادة؛ فلا يُقْبَلُ منكَ يا عبدَ الله أن تقول: أنا مستسلمٌ لله بالتوحيد، مُنقادٌ له بالطاعة ومتبرءٌ من الشرك وأهله؛ لكن أنت لم تتَّبِعَ النَّبي محمداً صلى الله عليه وسلم في إسلامك، فأنت على دين غيره، فهذا ليس بمسلم؛ لأنّ دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله ديناً سواه، فهو ناسخ لجميع الأديان، فيجبُ عليك أن تكون مسلماً على الإسلام الذي شرعه الله على محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ في تعريفه:

[وَهُوَ الإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوحِيدِ].

فالإنسان يستسلم لأي شيء؟ يستلم لله بالتَّوحيد؛ بأن يُوحِّده ويُفرده بالعبادة؛ فمن عبدهُ وحده دونما سواه فقد استسلم له بالتَّوحيد .

<u>والتَّوحيد:</u> سبق أن عرفناهُ وقُلنا هو في *اللغة:* **مصدر وَحَّدَ يُوَحِدُ تَوْحِيداً، اذا جعل الشيء واحداً.**

وفي *الشَّرعِ:* **هو إفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبيةٍ وألوهيةٍ وأَسماءٍ وصفات.**

<u>وهو أقسام ثلاثة:</u>

<u>* توحيد الربوبيّة:</u> وهو توحيد الله سبحانه و تعالى في أفعاله، كالخلق والملك والتدبير.

<u>* وتوحيد الالوهيّة:</u> وهو توحيد الله تعالى في أفعالنا؛ فنعبد الله وحده ولا نشركَ معه غيره.

*** والثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراده سبحانه وتعالى بما سمَّى به نفسه أو وصف في كتابه أو في سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.**

ثم قال في تعريف الإسلام: **[والإنقياد له بالطاعة] : وذلك بأن تنقاد لله عز وجل بفعل المأمور وترك المحظور.**

[والبراءة من الشرك وأهله]: بأن تعتقد بطلان الشرك فتبتعد عنه وتبغض أهله، قال الله تعالى: { قَدْ كَانَت لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ }.

بهذه الكلمات المختصرة عَرَّف الشيخ - رحمه الله – الإسلام، ولكَ أن تمشي من المشرق إلى المغرب فكم من منتسب إلى الإسلام إذا قلت له: ما هو الإسلام؟ لم يجب جواباً صحيحاً.

ثم قال - رحمه الله – :

[وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان.]

هذا الدين: دين الاسلام ثلاث مراتب، **والمراتب :** جمع مرتبة. أي: **درجات ومنازل بعضها أعلى من بعض**، هذه المراتب هي الدين كلّه، مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الاحسان، هي الدين كلّه؛ لذا جاء في آخر حديث جبريل المشهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** ؛ فسمَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث دِيناً.

فتأتي مرتبة الإسلام وهي أوسع المراتب؛ ثم تأتي مرتبة الإيمان وهي أَضيق من دائرة الإسلام، ثم تأتي مرتبة الإحسان وهي أضيق المراتب.

ولك أن تمثل ذلك عندك برسم، فترسم دائرة كبيرة هي دائرة الاسلام، ثم ترسم دائرة داخل الدائرة التي رسمناها للإسلام وتسميها: دائرة الإيمان، ثم ترسم دائرة أصغر داخل الدائرة الثانية: دائرة الايمان، وتسميها دائرة الاحسان.

هذه المراتب الثلاث كلّ مرتبة لها أركان.

<u>وركن الشيء هو:</u> جانبه الأقوى، وهو ما يقوم عليه ولا يقوم بدونه، ولا يقوم البيت دون أركان.

كذلك هنا لا تقوم هذه المراتب دون هذه أركان.

دليلُ هذه المراتب وهذه الأركان سيأتي كلّه في حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي سيأتي معنا قريباً بإذن الله فإنّه ذكر لكلّ مرتبة أركاناً.

ثم قال المؤلف - رحمه الله -:

[فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إلهَ إلَّا الله، وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام".]

دليل ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إلهَ إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجِّ بيت الله الحرام" وهو متفق عليه، وكذلك ورد ذكرها في حديث جبريل المشهور، هذه الأركان الخمسة هي أساسات الإسلام وأركانه التي يقوم عليها وإلّا فإنَّ هناك أموراً أخرى من الإسلام لكنّها ليست بهذه المنزلة؛ وإنَّما هي مُكمّلاتٍ لهذه الاركان.

وأول أركان الإسلام مُكوّن من شقين: +شهادةُ أن لا إله إلّا الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله.

وجُعلتا ركناً واحداً لأنّهما متلازمان ولا يمكن أن نوّحد الله دون اتّباعٍ للنبي محمدٍ صلى الله وعليه وسلم، ولا يمكن اتباع محمدٍ صلى الله عليه وسلم دون تحقيق التوحيد ولأنّ العبادة لا تُقبل إلَّا باجتماعهما معا وتحققهما جميعا، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وفي هذا إشارة إلى شرطي قبول العبادة.

فشهادة أن لا اله إلّا الله تضمنت رُكن للإخلاص.

وشهادةُ أنّ محمداً رسول الله تضمنت ركن المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الركن؛ ركن الشهادتين أعظم الأركان، وهو أصل الدّين، وبهما يدخل المرء الإسلام وإذا عُدم هذا الركن عدم الدين كلّه.

<u>والشهادة :</u> هي الإخبار عمَّا في قلبك يقيناً، ومعنى الشهادة أنطقُ بلساني عمّا يكنّهُ قلبي.

وباقي الأركان هي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحجّ، وهذه كلّها أعمالٌ ظاهرة.

ثم قال - رحمه الله –

[فدليل الشهادة قوله تعالى: { شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلمِ قَائِمًا بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }.]

أي: دليل شهادة أن لا إلهَ إلَّا الله، لأنّ الشهادة إذا أطلقت قُصد بها شهادة: (أن لا إلهَ إلَّا الله) لذلك المؤلف - رحمه الله - لم يقل : فدليل شهادة أن لا اله إلّا الله، بخلاف الثانية -وستأتي - فإنّه قال فيها: ودليل شهادة أنّ محمداً رسولُ الله.

قول الله تعالى: (شَهِد الله): أي: **حكم وقضى وأعلم وألزم وبيّن**، هذه كلّها بمعنى واحد.

(أنّه لا إلهَ): نافياً العبادة عمّا سوى الله عز وجل.

(إلّا هو): مُثبتاً العبادة لله وحده.

وفي الآية أَشْهَدَ الله نفسه وملائكته وأولو العلم؛ وهم أَعظمُ شاهد أشهدهم على أعظم مشهود وهو شهادة أن لا اله إلّا الله، وكما سبق وأشرنا أَنَّهُ لو لم يكن للعلماء من فضلٍ إلَّا هذا لكفاهم شرفاً وفضلا، وعند قولنا العلماء فالعلماء هم العلماء بدينهِ وشرعهِ، فإنّ العلم اذا أُطْلِق في القرآن فإنّه يُطلَق على العلم الشرعي ولا يُطلق على غيره.

وقوله: (قائماً بالقسط): أي: قائماً على شؤون خلقه بالعدل، يخفض ويرفع يُعطي ويمنع يُعزّ ويُذِل.

(لا إله إلّا هو العزيز الحكيم): ختمها الله عز وجل بما بدأها به، فإنّها بُدئَت بالتوحيدِ وخُتِمَتْ بالتوحيد.

والعزيز : اسمٌ من أسماء الله تعالى يتضمنُ صفة العزَّة.

والحكيم : كذلك من أسماء الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى ذو الحكمة الذي يُحْكِم الأشياء ويُتقنها.

ثم قال - رحمه الله - :

[ومعناها لا معبود بحقٍ إلا الله وحده].

أي: معنى لا إله إلّا الله : **لا معبود بحقٍّ إلّا الله.**

ومعنى شهادة أن لا إله إلّا الله : **هي أن يعترف الإنسان بلسانه عَمَّا يُكّنه قلبه بأنّه لا معبود بحقٍّ إلّا الله.**

لا إلهَ إلّا الله : هذه الكلمة التي نقولها دائماً؛ ونتمنى أن تكون آخر كلامنا في هذه الحياة الدنيا يجب علينا أن نعرف معناها، فما معنى إله في (لا إِلٰهَ إِلَّا الله).

الإله: هو المعبود، لأنّ الإله : مِنْ أَلَهَ يَأْلَهُ إِلٰهَةً ، أي: عَبَدَ يَعبدُ عبادةً .

قال الشاعر:

للهِ دَرُّ الغَانِياتِ المُدَّهِ *** سبَّحنَّ واسْتَرْجعنَ مِنْ تَألّهِي

من تألهي: أي من تعبدي.

والله سبحانه وتعالى يقول في بداية سورة هود: { آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَيَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } أنظر: أن لا تعبدوا إلّا الله، وهي موافقة لكلمة التوحيد (لَا إِلَٰهَ إلّا الله)، فلذلك فَسَّرنا الإله بالمعبود، فهو مُوافق لما جاء في القرآن، وهو موافق كذلك للغة العرب، فالتأله معناه **التَّعَبُّدَ،** ولا إِلٰهَ: **أي لا معبود.**

ونحن لا نُفسّر لا إلهَ إلَّا الله بتوحيد الربوبية ونقول لا ربّ إلّا الله، وعليه يكون: لا خالق ولا رازق إلّا الله، فالربوبية غير الألوهية ولو كانت كذلك لما امتنع كفار قريش من قولها، لأنّهم كانوا إذا سُئِلوا من خَلَقهم؟ فإنهم يقولون الله، قال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهَ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } ، وقال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤفَكُونَ}، وإذا سُئِلوا من يرزقهم فإنهم يقولون الله ، من الذي يحي ومن الذي يميت فإنّهم يقولون الله، قال الله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَّبِرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}، وقال

تعالى: { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ سَيقُولُونُ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تِسْحَرُونَ }، هم يعترفون بكلّ هذا، لكن مشكلتهم في توحيد الألوهية، توحيد العبادة لله تعالى؛ لذلك علموا معناها فامتنعوا من قولها وهم يعلمون علم اليقين أن نطقهم لهذه الكلمة معناها الكفر بكلّ إله غير الله سبحانه وتعالى، لذلك قالوا : { أجعلَ الألهة الهاً واحداً إنّ هذا لشيء عُجاب }.

ولا نقول كذلك في تفسيرها ***لا معبود إلّا الله*** ؛ فإنّ هذا غلط كبير، لأنّه تكون حينئذ هذه المعبودات كلّها هي الله، فإننا نعلم أنّ هناك معبودات عُبدت من دون الله وسمّاها الله ألهة في كتابه: قال تعالى: { فَمَا أغْنَتْ عَنْهُمُ الِهَتُهُم التَّي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيء لِمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ }، فهي ألهة عُبِدت لكن عُبِدت بباطل ولم تعبد بحق.

فلماذا قال الشيخ رحمه الله أنّ معناها: لا معبود بحقّ إلّا الله؟ ولماذا أضاف كلمة بحقّ إلى معناها؟

أنتَ اذا قُلتَ أنَّ معناها: لا معبود بحقّ إلّا الله، حينها انتفت هذه المعبودات كلّها إلّا الله سبحانه وتعالى.

(لا إلهَ إلّا الله) : لا: هذه نافية للجنس، تعمل عمل إنّ نصبت الاسم الذي هو **(إله)** لا إلهَ، وقلنا قريباً أنّ معنى إِلَهَ معبود، ولا هذه النافية ترفع الخبر، والخبر محذوف وتقديره حقٌ وقدّرنا الخبر حقٌ لقوله تعالى في سورة الحج: { ذلك بأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلَ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلّي الكَبِيرِ }، وقوله كذلك في سورة لقمان: { ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهُ هُوَ الْحَقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلَ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلّيُّ الكَبِيرِ }، ولو قَدَّرنا الخبر كما فعل البعض بموجود يكون المعنى: لا إله موجود إلّا الله، وهو نفس ما سبق بأنّه لا يصحّ تفسيرها بلا معبود إلّا الله؛ وإنّ هذا مخالف للواقع، فإنّ المعبودات وجدت وعبدت ولكن عبدت بغير حق.

وإلّا: في قول لا إله إلّا الله ، **إلّا:** أداةُ استثناء، **إلّا الله:** أثبتت العبادة لله وحده دون سواه.

فعليه فقولك لا إله إلّا الله: **لا معبود بحقّ إلّا الله.**

أي : أنَّ كلّ ما يُعبد من دون الله عبادته باطلة ؛ وأنّ المستحق العبادة على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، والخلاصة والتي يجب عليك معرفتها أنّ معنى لا إله إلّا الله هو ما قاله الشيخ رحمه الله: لا معبودٌ بحقٍ إلّا الله، أو نقول: لا معبود حقٌ إلّا الله.

ثم قال الشيخ -رحمه الله-:

[لا إله نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلّا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما إنّه لا شريك له في ملكهِ.]

نستفيدُ من كلامِ الشيخ - رحمه الله - أركان لا إِلَهَ إِلَّا الله وهما: النفي والإثبات.

لا إله: نفي العبادة عمّا سوى الله، إلّا الله: إثبات العبادة لله وحده دون سواه، ولا يكفي أحدهما عن الآخر.

قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَة بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ }،

{ إنني براء مما تعبدون } : هذا نفي وتبرأ مما يعبدون،

{ إلّا الذي فطرني } : هذا إثبات للعبادة لله وحده.

قال تعالى: { فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُروَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَها وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم } فمن يكفر بالطاغوت: هذا النفي، ويؤمن بالله: هذا الإثبات .

وقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِل وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِّيّ الْكَبِير }، ذلك بأنّ الله هو الحق: فيه إثبات الألوهية لله وحده، وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل: فيه نفي.

وفي آخر كلام الشيخ رحمه الله إلزام للناس بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية؛ وذلك في قوله رحمه الله:**[لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه] .**

ثم قال رحمه الله:

[وتفسيرها الذي يُوضحها قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمَهُ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُون إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةٌ بَاقِيةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يرْجَعُونَ } .]

هذه الآية تفسر لنا معنى كلمة التوحيد: (لا إلهَ إلَّا الله)، ففيها النفي والإثبات كما تقدم، فيها الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده .

{ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه } : إبراهيم هو خليل الرحمن، أبو الأنبياء من بعده، إمام الحنفاء، أفضل النبيين والمرسلين بعدَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأبوه هو آزر، ورد ذكر اسمه في آية أخرى.

ماذا قال إبراهيم لأبيه وقومه ؟ (إنني بَرَاءٌ مما تعبدون)، وهذه موافقة لـ (لَا إِلَهَ)وفيها النفي وهو الكفر بما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى .

(إلّا الذي فطرني): إلّا الله، وهي موافقة للإثبات: إثبات العبادة لله وحده.

وقوله (فطرني) : أي: خلقني وأوجدني، وفي هذا إشارة إلى أنّ توحيد الربوبية يَستلزمُ توحيد الألوهية، الذي هو توحيد العبادة ولا بد، وكما أنّه لا شريك له في الخلق، فلا شريك له في العبادة.

(إلّا الذي فطرني فإنّهُ سيهدين): **سيهدين**: أي: يدلني على الحق ويوفقني إليه،

<u>والهداية هدايتان:</u>

<u>**هداية التوفيق :**</u> وهي لله وحده، قال الله تعالى لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } .

والهداية الثانية: <u>**هداية البيان:**</u> وهذه ثابتة للرسل ولأتباعهم، قال الله تعالى :{ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم } .

ثم قال في الآية التي استدل بها الشيخ - رحمه الله :-

{ وجعلها كلمة باقية } : اتفق أهل التفسير على أنّ الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد (لا إلهَ إلَّا الله)، وهي مذكورة هنا في هذه الآية بمعناها المتضمن للنفي والإثبات.

{وجعلها كلمةً باقية في عقبه} : أي: في ذريته ونسله.

{لعلهم يرجعون} : أي: يرجعون من الشرك إلى التوحيد.

ثم قال -رحمه الله-

[و قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.]

هذه الآية مثل الآية التي سبقت؛ فإنّ فيها بيان وتفسير لكلمة لا إله إلّا الله.

(قل): يا محمد.

(قل يا أهل الكتاب): وهم اليهود والنصارى.

(تَعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم): وهي كلمة التوحيد، وذلك في قوله تعالى: (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيئًا) وَهُذه هي الكلمة السواء التي بيننا وبينكم، أي: نحن واياكم فيها سواء، وهذه الكلمة في الآية اشتملت كذلك على النفي والإثبات، وذلك في قوله:

(ألّا نعبد): هذا النفي وهي توافق لا إله.

(إلّا الله): وهذا الإثبات.

(ولا نشرك به شيئًا): شيئاً هنا نكرة في سياق النفي؛ فهي تَعُّمَ كلّ الشرك صغيرهُ وكبيرهُ دقيقهُ وجليلهُ.

(ولا يتخذُ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله): أي: لا يُعَظِّمُ بعضنا بعضاً كتعظيم الله.

(فإن تَوّلوا): أي: فإن أعرضوا.

(فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون): قولوا لهم وأخبروهم أنكم مُوحدون مُؤمنون بهذه الكلمة وتبرؤوا منهم.

ويحْسن بنا بعد أن عرفنا معناها وعرفنا أركانها أن نعرف شروط هذه الكلمة:

وهي باختصار سبعة نظمها الشيخ العلامة حافظ الحكمي - رحمه الله تعالى - في (سلم الوصول إلى علم الأصول) نظماً بديعاً يسهل معه حفظها فقال - رحمه الله - :

الْعِلْمُ وَاليقينِ والقَبَولُ *** والانقياد فادرِ ما أقُولُ

والصِّدق والإخلاصِ والمَحَبَّة *** وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحبَّه .

العلم: هذا الشرط الأول، قال: العلم واليقين: اليقين: هو الشرط الثاني، والقبول: هذا الشرط الثالث، والانقياد: الشرط الرابع، فادرِ ما أقول، والصدق: هذا الشرط الخامس، والإخلاص: الشرط السادس، والمحبّة: الشرط السابع، وفقك الله لما أحبّه، آمين.

فالعلم: هو العلم المُنافي للجهل،

واليقين: هو المُنافي للشك،

والقبول: المُنافي للرد،

والانقياد: المُنافي للترك،

والصدق: المُنافي للكذب،

والاخلاص: المُنافي للشرك،

والمحبّة: المُنافية للبغض.

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً كالشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى – وهو:

(الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله)

وجمعت في نظم آخر:

عِلْمٌ يَقْينٌ وَإِخلاصٌ وَ صِدْقُكَ مَعَ *** مَحَبَّةٍ وَانْقِيادٍ وَالقَبولِ لَهَا

وزيد ثَامِنُها الكُفرَانِ مِنْكَ بِمَا *** سِوَى الإِلهِ مِنَ الأَشياءِ قَدْ أُلِهَا

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يحفظ هذه الشروط أو يختار النظم الأول أو الثاني حسب ما يتيسر له، فيحفظه؛ فالنظم يُعين الطّالب على تقييد الفوائد، لذلكم قال الناظم حاثّا على الاعتناء بالمنظوم، قال:

واحرص على المنظوم فهو أسهلُ *** للحفظ من نثر ومنه أجملُ

وهو لطلاب العلوم أَنفعُ *** وللفوائد الحسان أجمعُ

من أجلِ هذا عَوَّل الاعلامُ *** عليه وانبرت له الأقلامُ

ثم قال الشيخ رحمه الله:

[ودليل شهادة أنّ محمداً رسول الله قوله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } .]

أي: والدليل على أنّ شهادة أنَّ محمداً رسولُ الله ركنٌ من أركان الإسلام قول الله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } .

اللام في (لقد) : لام قسم، فيها قسم مقدر، تقديره: والله لقد جاءكم .

قد: حرف تأكيد بعد تأكيد، فاجتمعت ثلاث مؤكدات: القسم واللام وقد.

(جَاءَكم): خطاب عام لجميع الناس حتى الجن، وقد يُحمل المخاطب على العرب دون غيرهم، فيكون المعنى: لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم.

(رسول): <u>**الرسول:**</u> من أُوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه، وهو مُرسل من الله سبحانه وتعالى.

(من أنفسكم): أي: من جنسكم، من جنس البشر ليس ملَكا، فهو منكم ومثلكم، تعرفونه وتعرفون نسبه وبلده وقبيلته وتعرفون أخلاقه حتى.

(عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم): يشقّ عليه ما يشقُ عليكم، لذلك جاءت شريعتة سهلة سمحة وما فيها مشقة.

(حريصٌ عليكم): أي: حريص على هدايتكم ونصحكم وإنقاذكم من النّار.

(بالمؤمنين رؤوف رحيم): وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم رؤوف ورحيم بالمؤمنين، أمَّا مع الكفار فهو غليظ شديد عليهم، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظ عَلَيهِم وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمَ وَبِئسَ المَصِيرِ}.

قال - رحمه الله - :

[ومعنى شهادة أنّ محمداً رسول الله طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ماعنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع".]

معنى الشهادة تقدم وقلنا بأنّه **الإخبار عَمَّا تعتقده في قلبك أنَّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب القُرشيّ الهاشميّ مُرْسلٌ من عندِ الله تعالى إلى الثقلين الجن والإنس، فهو عبدٌ لا يُعْبَد ورسولٌ لا يُكَذَّب.**

أوحى الله إليه بشرعٍ وأمرهُ بتبليغهِ وأنزلَ عليه الكتاب والحكمة، ويلزم من هذه الشهادة أمورٌ ذكرها الشيخ - رحمه الله - وهي:

طاعته فيما أمر: قال الله تعالى: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولُ فَقَدْ أَطَاعَ اَللَّه }، وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اَللّهَ وأَطِيعُوا الْرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُم فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ المُبِين".

وتصديقه فيما أخبر: قال الله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَا وَحيٌ يُوحَى }، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربّه بأمور كثيرة ومنها: الأمور الغيبية، فكيف بمن يشهد أنّه رسول الله ولا يُصدّقه في أخباره !

واجتناب ما نهى عنه وزجر: قال تعالى: { وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا }، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا نهيتكُم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فَأْتُوا منه ما استطعتم).

وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع: فلا يُعبد الله عز وجل بالبدع والمحدثات وبالأهواء والضلالات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَمِلَ عملاً ليسَ عليهِ أمرنا فهو رَدّ)، "متفق عليه ".

فالمسلم حقاً وصدقاً إنّما يعبد الله بما شرعه سبحانه وتعالى، وبما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بِدعة وكلّ بدعة ضلالة) رواه أبو دواد والترمذي وغيرهما من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه-.

ثُمَّ قالَ المؤلفُ رحمهُ الله:

[ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }.]

أي: ودليل أنّ الصّلاة والزّكاة من الدين وتفسير التوحيد قول الله تعالى في سورة البينة: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰة وَيُوتُوا الزَّكَاة وَذَٰلِكَ دِيْنُ القَيِّمَةِ)

فالله سبحانه وتعالى أمرنا بعبادته؛ وأمرنا بعبادته وحده مخلصين له الدين، أي: هذه العبادة تكون صافية ونقية من الشرك، هذه العبادة تكون له وحده لأنّ الإخلاص هو التصفية و هو التنقية.

(حنفاء): أي: مائلين عن الشرك إلى التوحيد؛ وهذا هو تفسير التوحيد الذي عناه المؤلف رحمه الله.

(ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة): وهذا من باب عطف الخاص على العام؛ لأنّ الصلاة والزكاة من العبادة، ومع ذلك ذكر العبادة وأنّه يجب أن تكون له خالصة، ثم ذكر الصلاة والزكاة لعظيم أهميتها.

ثم قال: (وَذَٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ): أي: دين الملّة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها.

والله تعالى قيّد الصلاة بإقامتها، فقال تعالى: (ويقيموا الصلاة) ولم يقل: (ويصلوا)، فإقامة الصلاة إعطاؤها حقّها وذلك بإقامتها بطهارتها والمحافظة على أدائها في وقتها بشروطها وأركانها وواجباتها، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته: "ارْجع فَصلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ"، وهذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو "متفق عليه "، فأنتَ اليوم ترى الجموع الكثيرة من المِصلين لكن المُقيمين لها في الحقيقة قليلٌ والله المُسْتَعان.

والزّكاة إنّما تجبُ لمن ملك النّصاب وحالَ عليها الحول وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

ثُمَّ قال رحمهُ الله:

[ودليل الصيام قوله تعالى: يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون].

(كتب): أي: فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من الأمم.

وفي قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أي: لكي تتقون عذاب الله وتفوزون بثوابه.

ثُمَّ قال رحمهُ الله:

[ودليل الحجّ قوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى الْنّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا وَمَنْ كُفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين] .

قَيَّدَ رُكْن الحجّ بالاستطاعة، قال الله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا) وهو واجبٌ مرةً في العمر.

هذه هي أركان الإسلام الخمسة وهذه أدلتها.

ونتوقفُ هنا لأنّ المؤلفُ رحمهُ الله سينتقل الى المرتبة الثانية من مراتب الدين، وهي (مرتبة الإيمان) وهذه سيكون الحديث عنها في المجلسِ القادمِ بإذن الله تعالى .

نكتفي بهذا القدر هذه الليلة .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلّا أنت أستغفركَ وأتوبُ إليك.



باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (8)

التاريخ : الخميس 4 - 5 - 1440 هـ

تفريغ الدرس الثامن من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ لله وحده ، والصَّلاةُ والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، وأشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له، و أشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أمَّا بعد:

فهذا هو المجلس الثامن من مجالسِ شرحِ الأصول الثلاثة لشيخِ الإسلام العالم الإمام: أبي عبد الله محمد بن عبد الوهّاب أَجْزَلَ الله له الأجر والثواب، وألهمنا طريق الرُّشدِ والصواب.

كُنَّا قد انتينها في آخر مجلس من تفصيل القول في المرتبة الأولى من مراتب الدين؛ أَلَا وهي - مرتبة الإسلام - وعرَّفنا الإسلام وذكرنا أركانهُ الخمسة، وفَصَّلنا القول في الركن الأول - ركن الشهادة - وأنّه أصل الأركان وأَعظمُها؛ وذكرنا معنى لا إله إلّا الله وَبَيَنَّاه، وقُلنا أنّ معناها: " **لا معبود بحقٍّ إلا الله** ". وذكرنا أركان هذه الشهادة؛ وقلنا هما ركنان: النفي والإثبات، النفيُ في قولكَ: لا إلَه، والإثباتُ في قولكَ: إلَّا الله، وذكرنا كذلك شروطها السبعة؛ وفَصَّلنا القول كذلك في شهادة أنَّ مُحمدًا رسول الله، وأنَّها تقتضي من صاحبها أَن يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أَمَر، وأَن يُصَّدقه فيما أَخبر، وأن يجتنبَ ما عنه نهى وزجر، وأَن لا يَعبُد الله إلّا بما شرع، ثم ذكرنا بقية أركان الإسلام، وكان الدرسُ مُدججًا بالأدلة السّمعية، أدلة الكتاب والسُّنة؛ لأنّه كما سبق وأشرنا إليه أنّ دين الإسلام لا يُعْرُف إلّا بإدلة الكتاب والسنة؛ ولا يُعْرَف بغير ذلك، فليس للهوى والعقل والتقليد والابتداع نصيبٌ في ذلك؛ ونحمدُ الله سبحانه وتعالى أنْ وَفقَّنا لكلّ هذا، ونسألُ الله سبحانه وتعالى الإخلاصَ في القول والعمل، وفي هذه الليلةِ بإذن الله؛ سيكون تفصيل القول في المرتبة الثانية من مراتب الدين أَلَا وهي مرتبة - الإيمان - .

قال الشيخ - رحمه الله -:

[المرتبة الثانية (الإيمان)] .

الإيمانُ في *اللُّغة:* **هو التصديق والإقرار**، قال الله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ }، أي: وما أَنت بِمُصَدِّق لنا ولو كُنَّا صادقين.

وهو في *الشرع:* قولٌ باللسان وإعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية.

ومن أراد ضَبطَهُ كما ضبطه أحد المشايخ بأنّه خمس نوناتٍ فقال في تعريفه:

قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان يزيدُ بطاعة الرحمن وينقصُ بمعصية الرحمن.

وقد زلَّ في تعريف الإيمان فرقٌ كثيرة؛ لَزِم من تعريفهم مخالفات كبيرة وخطيرة، سيأتي ذكرها في وقتها في كتبٌ أخرى أكبر من هذا - إن شاء الله - .

الإسلامُ والإيمان من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت إجتمعت.

فإذا افترقا في الذكر؛ وذكر أحدهما دون الآخر صارا بمعنى واحد: **الأعمال الظاهرة والباطنة.**

أما إذا إجتمعا في الذكر صار الإيمان **هو الأعمال الباطنة**، والإسلام **هو الأعمال الظاهرة.**

والإيمانُ كما ذكرنا في تعريفهِ لا بُدَّ فيه من ثلاثة أمور : القول ، والإعتقاد ، والعمل ، ولا يغني أحد هذه الأركان عن الآخر ؛ لا بُدَّ من اجتماعها جميعا.

فلو قال ولم يعتقد ولو عَمِل كان منافقا، قال الله تعالى واصفا حالهم:{ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم }.

ولو اعتقد ولم يقل لم يكن مؤمنًا؛ كحال الكفَّار، وقد قال الله تعالى فيهم: { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

ولو عَمِل من غير اعتقاد كان عَملُهُ هباءً منثورًا، قال الله تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }.

وَكما سَبقَ وأن مثَّلنا فإنَّ دائرة الإسلام أوسعُ من دائرةِ الإيمان، ولا إسلامَ دون إيمان، فكلّ مُؤمنٌ مسلم وليس كلّ مسلم مؤمن؛ فإنّ الإيمان فيه خصوصية زائدة، قال الله تعالى: { قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }.

قال رحمه الله:

[وهو بِضعٌ وسبعونَ شَعْبة].

البِضْع : بكسر الباء **من ثلاثة إلى تسعة**، **والشُّعبةُ: هي القطعة من الشيء**، فتكون شُعَب الإيمان من ثلاث وسبعين شُعبة إلى تِسعٍ وسبعين شعبة.

وفي كلام الشيخ - رحمه الله - إشارةٌ إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ شُعبة"، وفي رواية البخاري: "الإيمانُ بِضْع وسُتونَ شعبة فأَعلاها قولُ لَا إِله إِلَّا الله وأَدناها إِماطة الأَذى عن الطَّريقِ والحياءُ شعبةٌ من الإِيمان".

قال:

[فأَعلاها قولُ لا إِلَه إِلَّا الله] .

أَي: أعلى هذه الشعب وأعظمُها وهو الركن الأساس، شهادة أن لا إِله إِلَّا الله، وهي العُروة الوثقى وكلمة التَّقوى وهي مِفتاح الجنة.

قال:

[وأَدناها إِماطة الأذى عن الطَّريق].

أَدناها: أي أقلها، **إِماطة:** أي إِزالة، **الأَذى:** هو كلّ ما يُؤذي النّاس من شجرٍ وحجرٍ ونحو ذلك.

قال:

[والحياءُ شُعبة من الإيمان].

الحياء: **صفة انفعالية تحدث عند الخجل، ومنه محمودٌ ومذموم :**

- **فالحياء المحمود:** هو الذي يدفعك للتحلّي بالأخلاق الحسنة.
- **وأمّا الحياء المذموم:** فهو الذي يمنعك من فعل الطَّاعة، أو السكوت عن المعصية.

وهذا الحديث من أقوى الأدلَّة على أنّ الإيمان قولٌ وإعتقادٌ وعمل، لأنّه شَمَل على:

- **الأعمال القلبية:** الحياء، وهذا عمل بالجنان، أي: عمل بالقلب.
- **الأعمال القولية:** قول (لا إله إلَّا الله)، وهذا قول اللسان.
- **الأعمال الفعلية:** وذلك بإماطة الاذى عن الطَّريق، وهذا عمل الجوارح والأركان.

ثم قال الشيخ - رحمه الله –

[وأركانه ستة: أَنْ تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنَ بالقدر خيره وشره].

وأركانه: أي أركان الإيمان، وهي: أساساتهُ ودعائمهُ التي يقوم عليها ولا يقوم بدونها.

والجمع بين أنّ أركان الإيمان ستة وأنّه بِضعٌ وسبعون شعبةً أنّ هذه الستة الأركان أفردت بالذكر لعظيم منزلتها من هذه الشعب، وهذه البِضع والسبعون شعبة حوت أعمالاً قلبية وأعمالاً قولية وأعمالاً بدنية، هذه الشعب منها ما يزول الإيمان بالكلية بزوالها، ومنها ما يزول كماله الواجب بزوالها، ومنها ما يزول كماله المستحب بزوالها.

هذه الأركان دليلها حديثُ جبريل المشهور وسيأتي ذكرهُ بإذن الله.

أول هذه الأركان:

الإيمان بالله :

وهذا أعظم الأركان وهو أصل الأصول ، **ويشمل أربعة أمور:**

- **الإيمان بوجود الله:** سبحانه وتعالى، وقد دَلَّ على ذلك الفطرةُ والعقلُ والشَّرعُ والحسّ.
- **الإيمان بربوبيته:** سُبحانه وتعالى، وأنَّه هو الخالقُ وحده، والرازقُ وحده، والمدبرُ لشؤون عباده دون غيره.
- **الإيمانُ بألوهيته:** وأنَّه المعبود بحقٍّ وما عُبِدَ من دونهِ هو الباطل.
- **الإيمانُ بأسمائه وصفاته:** وذلك بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه أَو في سُنَّة نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

الركن الثاني من أركان الإيمان هو:

الإيمان بملائكته :

الملائكة: جمع مَلَك بفتح اللام لا بكسرها، مأخوذٌ من الأَلُوكَة وهي الرِّسالة.

وهم : مخلوقات خلقها الله سبحانه وتعالى من نور، وهم عالم غيبي، جُبِلوا على الطَّاعة فليسَ لهم سبيلٌ إلى المعصية، قال الله تعالى: [لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ]، وقال في آية أخرى: [لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ]، نؤمن بهم إجمالاً، ومن سُمِّيَ منهم في الكتابِ والسُنَّة نؤمنُ بهم على التفصيل، وعددهم كثير لا يحصيهُ إلَّا الله تعالى، قال الله تعالى: [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ]، وقد ثبت في حديث الإسراء والمعراج أنَّ البيت المعمور الذي في السماء السابعة، يُصَّلي فيهِ كُل يومٍ سبعونَ ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ونؤمن كذلكَ بأنّ لهؤلاء الملائكة أعمالًا يقومون بها، فجبريلُ عليه السلام مُوَكَّلٌ بالوحي، وميكائيل بالقَطر والنبات، وإسرافيل مُوَكَّل بالنَّفخ في الصُّور، وَمَلَكُ الموت وأعوانهُ بِقبض الأرواح، ومالكٌ خازن النَّار، ورضوان خازن الجنَّة، ومثلُ الملائكة المُوكَّلة بالأجِنَّة في الأرحام، بأن تكتب أربعةُ أمور، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، والملائكة التي تُحْصي أعمال بني آدم، قال الله تعالى: [وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِين]، ومنهم من هو مُوَّكلٌ بِحفظ بني آدم من الهوامِ والسِّباع، وهم ملائكة سَخْرهم الله لحفظ عباده، قال الله تعالى: [لَهُ مُعَقِّبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يدَيْهِ وَمِنْ خَلْفُه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ]، ومنهم كذلك الملائكة المُوكلة بسؤال الناسِ في قُبورهم، والسُّؤالِ في القبر عن هذهِ الثلاثة الأصول: عن الربِّ، وعن الدِّين، وعن الرَّسول، ومنهم السَّياحون في الأرض، يَتتبْعون مجالس العلم، ومنهم كذلك الموكلون بحمل العرش، وهنا لطيفة أنظر ماذا قال الله تعالى عن هؤلاء الذين يحملونَ العرش؛ وقلنا بأنّ العرش أعظم المخلوقات على الإطلاق ، ولا يعلم عِظم هؤلاء الملائكة - الذين يحملون العرش - إلّا الله سبحانه وتعالى، وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام، الروح الأمين، شديد القوى، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم رآه له ستمئةُ جناح قد غَطَّى الأفق، هذا العرش هو سقف الجنة ومنه تَفَّجر أنهار الجنّة، والله سبحانه وتعالى على العرش استوى، وقُلنا استوى: أي علا وارتفع علوًا وارتفاعًا يليقُ بعظمتهِ سبحانهُ وتعالى،

قال الله تعالى في هؤلاء الملائكة الذين يحملونُ العرش: [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم] .

هؤلاءِ الملائكة يستغفرونَ للذين آمنوا ولذلكَ نحنُ نحبهم، فهم أنصحُ المخلوقات لعباد الله المؤمنين؛ ونسألُ الله سبحانهُ وتعالى أن يجعلنا مِمَّن تستغفرُلهم الملائكة.

وهناك من أنكر وجود الملائكة، ومن جحد وجودهم وأنكرهم كفر لأنّه لم يكن مؤمناً بالغيب الذي جاء في القرآن والسنة، هذا **الإيمانُ بالملائكة يمكن تلخيصهُ في أربعة أمور:-**

- **الإيمانُ بوجودهم.**
- **الإيمانُ بمن عَلِمنا اسمه منهم ومن لم نعلم اسمه منهم آمنا به على وجه الإجمال.**
- **الإيمانُ بما علمنا من صفاتهم.**
- **الإيمانُ بما علمنا من أعمالهم.**

الركن الثالث من أركان الإيمان:

الإيمان بكتبه:

وهي الكتبُ التي أنزلها الله تعالى على رسله، مع كلّ رسولٍ كتاب، قال الله تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاس بِالْقِسْطِ]،

- ونؤمن بأنّ الله تكلم بها حقيقة وأنزلها على رسله وحيًا،
- نؤمن بما عَلِمنا منها باسمه كالقرآن والتوراة والأنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى؛ وما لم نعلم اسمه آمنًا به على وجه الإجمال،
- ونؤمن أنّ القرآن ناسخٌ لهذه الكتب جميعاً ومهيمن عليها، وأنّه يجبُ علينا العمل بما فيه.

الركن الرابع:

الإيمان برسله:

الرسل: جمع رسول، **والرسول : من البشر أوحى الله إليه بشريعةٍ وأمرهُ بتبليغها**، وليس لهم من الربوبية والألوهية شيء، وهم عبادٌ لايُعْبَدون ورسلٌ لا يُكَذبون، فلا إفراط ولا تفريط، نحنُ أمَّة وسط، بخلافِ اليهود والنَّصارى، فإِنَّ إليهود حصل منهم تفريط فكانوا يقتلونَ الأنبياء؛ وأمّا النَّصارى فحصل منهم إفراط فعبدوهم من دون الله.

أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام وآخر هم محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل على أنّ نوحاً أول الرسل قول الله تعالى: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ]، وكذلك ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذكرَ أنّ الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: "أئتوا نوحًا أولُ رسول بعثه الله الى أهل الأرض"، والدليل على أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل قول الله تعالى: { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ }.

نؤمنُ بهم على وجه الإجمال وعددهم ثلاثمئة وبضعة عشرَ رسولا، وأمّا الأنبياء فعددهم أكثر من ذلك ، فنؤمنُ بمن سُمِّيَ منهم على وجه التفصيل وهم خمسة وعشرون رسولًا ونبيًا.

والرسول: هو من أوحي إليه بشرعٍ وأمر بتبليغه، وأمّا **النبي** : **فهو من أرسل تحت شريعة رسول قبله**؛ وعلى هذا يكون كلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسول.

وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: (محمدٌ وإبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام)، **والإيمانُ بالرسُّلِ يتلخص بأمور أربعة وهي: -**

- **الإيمانُ بأنّ الله تعالى أرسلهم، ومن كَذَّب برسول واحد منهم كذَّبهم جميعا**، قال الله تعالى: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ }، مع أنّهم كَذَّبوا نوحاً فقط.
- **الإيمان بمن عَلِمنا اسمه منهم باسمه والباقي على وجه الإجمال.**

- التصديق بما صحَّ من أخبارهم.
- العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم وهو محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

الركن الخامس من أركان الإيمان:

الإيمانُ باليوم الآخر:

يومُ القيامة سُمِّيَ باليوم الآخر لأنّه آخر الأيام فلا يوم بعده؛ يومٌ مقدارهُ خمسونَ ألف سنة، يومٌ تأتي فيه كلّ نفس تجادل عن نفسها، يومٌ لا يجزي والد عن ولده؛ ولا مولود هو جازٍ عن والدهِ شيئا، "يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لِكُلِّ امرء منهم يومئذٍ شأن يغنيه".

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور:

الأمرُ الأول: الإيمانُ بالبعث: أنَّ الناس يُبعثون بعد موتهم حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، قال تعالى: { ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ }، وفي الحديث المتفق عليه من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُحشَر النَّاسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلا "، قال الله تعالى: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }.

الأمرُ الثاني: الإيمانُ بالحساب والجزاء: قالَ الله تعالى: { إِنَّا إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابَهُم }.

الأمرُ الثالث: الإيمانُ بالجنَّة والنَّار: وأنَّهُما الآن موجودتان، وأنّهما لا تَفْنَيان.

الجنّة دارُ المتقين الأَبرار، دارُ النَّعيم، لها ثمانية أَبواب، فيها ما لا عين رأَت ولا أُذنٌ سَمِعَت ولا خَطرَ على قلبِ بَشر.

وأمَّا النَّار فهي: دارُ المُجرمين الفجّار، دار العذاب والنَّكَال، لها سبعة أبواب، **"وَقودها النَّاس والحجارة عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدَاد لا يَعصُون الله ما أَمَرهُم وَيفْعَلونَ ما يُؤْمَرون".**

ويَلْحق الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكلِ ما يكون بعد الموت؛ ومن ذلك سؤال الملكين العبدَ عن هذه الاصول؛ فيسألانهِ عن: الرَبِّ وعن: الدِّين وعن: الرسول، وكذلك الإيمان

بعذاب القبر ونعيمه، عذاب القبر للمجرمين الفجار، ونعيم القبر للمُتَّقين الأبرار، وهو ثابتٌ بالكتاب والسنّة، وكذلكَ الإيمان بكلّ ما صحّ من أخبار جملة وتفصيلا: كالإيمان بِدنو الشمس على رؤوس العباد، وتطاير الصحف فآخذٌ كتابَهُ باليمين وآخذ كتابَهُ بالشمال من وراء ظهره، وكذلك وزن الأعمال، والصّراط، والقنطرة، إلى دخول الجنّة أو النّار، جعلنا اللهُ من أهل الجنّة وأعاذنا من النّار.

آخر ركن وهو الركن السادس:

الإيمانُ بالقدر خيره وشره:

القدر : في ***اللغة*** قَدَّرت الشيء، أقدُّره، إذا أحطت بمقداره.

أمّا في ***الشرع*** فهو: **ما قَدَّره الله في الأزل أن يكون في خلقه بناءً على علمه المُسْبق.**

فتؤمن بكلّ ما يجري في هذا الكون، من خيرٍ وشر، من كفرٍ وإيمان، من نعمةٍ ونقمة، من رخاءٍ وشدّة، من مرضٍ وصحة، من حياةٍ وموت؛ كلّ ذلك قضاء الله وقدره، ولم يكن ليحدث صُدفة.

هذا الإيمان بالقدر يتضمنُ الإيمان بأربعة أمور وهي التي تُسَمَّى :

بمراتبِ القدر : وهي: العلمُ والكتابةُ والمشيئةُ والخلق.

المرتبة الأولى: (العلم): أن تؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها، وأنّه بكلّ شيءٍ عليم؛ فَعَلِمَ سبحانه تعالى ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

المرتبة الثانية: (الكتابة): وهي الإيمان بأنّ الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السماوت والارض بخمسين ألف سنة؛ كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } ففي هذه الآية دليلٌ على العلم، المرتبة الأولى، والكتابة هذه المرتبة الثانية، وقال صلى الله عليه وسلم: " أولُ مَا خلقَ اللهُ القلم، قال: اكتب، قال: وما أكتب، قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة" أخرجهُ أبو داود والترمذي من حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه.

المرتبة الثالثة: (المشيئة): بأن تؤمن أنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا شيءَ يخرج عن مشيئته، ولا يقع شيء دون مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: { وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }.

المرتبة الرابعة: (الخلق): بأن تُؤمنَ أنّ الله سبحانه وتعالى خلق كلّ شيء، فالله سبحانه وتعالى خلقَ المخلوقات وخلقَ أفعالها، قال الله تعالى: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكيل }، وقال تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }.

هذه المراتب يجبُ الإيمان بها جميعًا، ومن أَخَلَّ بواحدة منها وجحدها لم يكن مؤمناً بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر لم يكن مؤمنًا.

هذه المراتب جمعت في بيت واحد يُسَهّل حفظها:

علم كتابة مولانا مشيئته *** وخلقه وهو إيجاد وتكوين

قال الشيخ - رحمه الله -:

[والدليل على هذه الاركان الستة قوله تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ وَالمَلائِكَهِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّنَ }].

أي: والدليلُ على أنَّ هذه الأركان أركانٌ للإيمان ولا يستقيم إيمان العبد إلّا بها جميعًا، وإذا انتفى واحدٌ منها انتفى الإيمان، هذه الآية التي استدل بها الشيخ - رحمه الله - وهي في سورة البقرة.

والبِرّ: هو كلّ عمل خيرٍ يقرب صاحبه إلى الله ويوصله إلى الجنّة.

وفي هذه الآية ردٌّ على اليهود الذين استنكروا تحويل القبلة من البيت المقدس إلى الكعبة ؛ فليس البر أن تولوا وجوهكم إلى جهة المشرق أو جهة المغرب من غير أمر من الله؛ لكنّ البِرَّ هو إمتثال أمر الله تعالى.

وفي الآية ذَكر خمسًا من أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله واليومِ الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

ثُمَّ قال الشيخ - رحمه الله -: **[وَدليلُ القدر قوله تعالى :{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }].**

وهذا دليلُ القدر؛ أي: أنّ كُلَّ شيء خلقه الله فإنّه مُقَدَّرٌ في علمه وكتابتهِ ومشيئتهِ وإرادتهِ سبحانه وتعالى ولم يكن ليحدث صدفةً أو عفويا.

نتوقف إلى هنا والمجلس القادم بإذن الله تعالى نتتهي من الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام بالأدلَّة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أَن يُوَّفقنا للفقهِ بالدِّين وأنْ يَرزقنا البَصيرة واليقين، والحمد لله ربّ العالمين.



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (9)

التاريخ : الخميس 11 - 5 - 1440 هـ

تفريغ الدرس التاسع من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرفِ الخلقِ أَجمعين.

مَرَّ معنا فيما سبق الحديث عن المرتبة الأُولى والمرتبة الثانية من مراتبِ الدين؛ وعَرَفنا أنَّ المُراد بالمرتبةِ الأولى الإسلام: بجميع أَركانه الخمسة، وَ المراد بالمرتبة الثانية: الإيمان بجميع أركانه السِتَّة، وفي هذه الليلةِ بإذن الله سبحانه وتعالى مَعنا المرتبة الثالثة وهي مرتبة (الإحسان)، وبها تكتملُ مراتبِ الدِّين إذ هي: إسلامٌ وإيمان وإحسان، وكلُّ مرتبةٍ من هذه المراتب لها أركان؛ وقد فَصَّلنا القولَ في مراتب الإسلام ومراتب الإيمان والحمد لله ربّ العالمين.

قالَ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمهُ الله تعالى :

[المرتبة الثالثة: الإحسان].

الإحسان في *اللُّغة:* مأخوذٌ من إتقانِ الشيءِ وإتمامه وهو ضِدُّ القُبح والإساءة.

والإحسان مع الإنسانِ قال فيه الحسن البصري - رحمه الله -:

"هو بَذْل النَّدى وَكَفُّ الأذى وطلاقةُ الوجه".

بَذْل النَّدى: أي إيصالُ الخيرلهم بجميع أنواعه.

وكَفّ الأذى: أي أن تكفّ أذاكَ عن الخلق؛ فلا تؤذي أحداً.

وطلاقةُ الوجه: أي يكون مُبَتَّسِما بشوشا في وجوه إخوته؛ ولا يكون مُقَطبًا عبوسًا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "(لَا تَحقِرنّ من المعروفِ شيئًا وَلَو أَنْ تَلقَى أخاك بوجه طَلْق)" رواه مسلم.

هذا فيما يخصُّ الإحسان مع الخلق .

أمَّا الإحسان مع الله سبحانهُ وتعالى - وهو المقصود - فهو : **أنْ تأتيَ بالعبادةِ على وجهها الصحيح المُتْقن والَّذي يجمع بين كمال الإخلاص لله وحدهُ لا شريكُ له، وكمال المتابعة للنبي صلّى الله عليه وسلم؛ بهذا يكون العبد قد عبدَ الله كأنَّه رآه؛ فإن لم يكن رآهُ فإنَّه يراهُ.**

قالَ - رحمهُ الله - :

[الإحسانُ ركنٌ واحدٌ وهو أَنْ تَعبدَ الله كأنَّك تَراه، فإن لم تَكُن تراهُ فإنَّه يَراك].

الإحسان كما سبق وقَرَّرنا أنَّه أَعلى مراتب الدِّين، وأضيق الدوائر كما مَثَّلنا فيما سبق؛ فكلُ مُحْسنٍ مؤمن ومسلم؛ لا العكس، والإحسانُ أعَمُّ من حيثُ المعنى ففيهِ معنى الإسلام والإيمان وزيادة؛ ولكن من حيث أهلهِ هم أُخصّ؛ فالمحسنون الذين يَصِلون إلى هذه الدرجة هم نُخبةٌ من المؤمنين، وليسَ جميعَ المؤمنين.

وهو ركنٌ واحد، أي: شيءٌ واحد؛ فإنّ النّبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر لهُ أركاناً كما ذكر للإسلام وللإيمان؛ **وتندرج تحتهُ مرتبتَيْن وهما :**

المرتبة الأولى: مرتبة المُشاهدة **(كَأنَّك تَراهُ):** هذه هِي المرتبة العُليا؛ صار في عبادتهِ حتى كأنّه يرى الله سبحانه وتعالى، وما حصل له ذلك إلّا من كمالِ إخلاصهِ وكمال متابعتهِ للنّبي صلى الله عليه وسلم؛ وأثمرت هذه العبادة حبًا وشوقًا لله سبحانه وتعالى.

المرتبة الثانية: مرتبة المُراقبة **(فَإنَّهُ يَراكَ):** وهذه المرتبة دونُ الأُولى؛ فصاحبها يكون مُراقبًا لله سبحانه وتعالى، يعلمُ أَنَّه يراه فيخاف أن يَطّلِعَ عليه في غير مرضاته سبحانه وتعالى.

ثم قالَ - رحمهُ الله - :

[والدليل قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ }.

ففي هذه الإية دليلٌ على المرتبة الأولى - مرتبة المشاهدة - فالله سبحانه وتعالى مع المحسنين؛ وهم الذين عبدوا الله كأنَّهم يَرونَهُ سبحانهُ وتعالى، هؤلاء الذين اتَقَوا محارمَ الله والذين هم محسنون في عباداتهم وعدهم الله سبحانه وتعالى أنَّه معهم مَعيَّةً خاصّة؛ وهي مَعِيَّة النُصْرة والتَأييد

والتوفيق، فينصرهم ويُؤيّدهم ويوفقهم؛ ومن كان اللهُ معه فإنّه لا يضيع ولا يمكنُ أَنْ ينحرفَ ولا يخيب لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة.

وعليهِ فمن أَراد أن يكون الله معه فليُحْسِن في أعماله الظاهرة والباطنة؛ أقوالِها وأعمالها، لأنّ هذا وعد الله؛ والله سبحانه وتعالى يقول: { وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهَ الْمِيعَادَ}.

<u>والمَعِيَّةُ مَعِيَّتان</u> : عامّة وخاصّة.

<u>فالعامةُ</u>: هذه تشمل الخلقَ أجمعين؛ المؤمنَ والكافر، البَرّ والفاجر، والله سبحانه وتعالى مع كلّ عبادة كافرهم ومُسلمهم، برّهم وفاجرهم؛ فهو عليم بأحوالهم محيطٌ بهم، قال الله تعالى: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

أمَّا **<u>المَعِيَّةُ الخاصّة</u>:** فهذه خاصّةٌ بعبادِ الله المؤمنين، من أدلّتِها الآية التي استدل بها الشيخ رحمهُ الله؛ وكذلك ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وهما في الغار؛ كما قال تعالى: { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَهَ مَعَنَا }، فماذا حصلَ بعد أن كان الله معهما؟، وقلنا فيما سبق أنّ المعية الخاصة هي: معية النصرة والتأييد والتوفيق، قال الله سبحانه وتعالى بعد ذلك: { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، وكذلك من هذه المَعِيّة قوله تعالى لموسى وهارون: { قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ }، فالله سبحانهُ وتعالى معَ عباده المتّقين المُحسنين بنصره، وتأييده، وتوفيقه وتسديده.

قال :

[وقوله تعالى: { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمِ }].

(وَتوَكَل) : أي فوِّض أمورك.

(على العزيزِ الرُّحيم): وهو الله سبحانه وتعالى.

(الذي يراكَ حين تقوم): فهو يراكَ سبحانه وتعالى حين تقومُ للعبادة وللصلاة؛ وهذا مَحَل الشاهد من الآية.

(وَتَقلُّبك في السّاجدين): وهو سبحانه وتعالى، يراك وأنت راكعٌ وساجد، وهو الذي يراك في جميع أحوالك.

(إنّه هو السَّميع العليم): أي السّميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم سبحانه وتعالى.

وهذه الآية دليل للمرتبة الثانية من مراتب الإحسان (مرتبة المُراقبة) وذلك في قوله تعالى: (الَّذي يَراكَ).

ثم قال- رحمه الله تعالى-: وقوله تعالى:

[وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ].

(وَمَا تَكونُ فِي شَأْنٍ): هذا خطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، فما من عمل أنت فيه من أَعمال دينك ودنياك.

(وَمَا تَتْلوُ مِنهُ مِن قُرءَانٍ): أي ومن العمل الذي تكون فيه - تلاوة القرآن - وخصّ تلاوة القرءان بالذكر لِشرف وفضل هذا العمل.

(وَلَا تَعْمَلوُن مِنْ عَمَلٍ): هذا الخطاب الآن للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمتهِ جميعًا؛ فأيّ عملٍ تعملونه من أعمال الخير أو من أعمال الشّر إلّا كُنَّا عليكم شُهوداً، أي: نراكم ونشاهدكم.

(إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ): وذلك حين تعملون هذا العمل.

وفي هذه الآية دليلٌ على المرتبة الثانية كذلك؛ فهو يرانا ويشاهدنا في أيّ عمل نعملُه؛ سواءًا كان عمل خيرٍ أو عمل شر.

ثم قَالَ - رحمهُ الله - بعد ذلك:

[والدليلُ من السُّنَّةِ حديثُ جبريلَ المَشهورُ عن عُمرَ رضي الله عنه قال: بيْنَما نَحنُ جُلوسٌ عِنَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ

بَيَاض الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعرِ، لَا يُرَى عَليهِ أَثَرُ السَّفر وَلا يَعْرِفُهُ مِنّا أَحَدٌ؛ حتَّى جَلسَ إلى النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فأسْندَ رُكْبتيهِ إلى رُكْبتَيهِ؛ ووضعَ كفَّيْهِ عَلى فَخِذيهِ وقال: يَا مُحمَّدُ: أَخْبِرني عَن الإسْلام؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " الإسلامُ أَنْ تَشْهدَ أنْ لَا إِلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ وَتصُومَ رَمضانَ وَتَحُجَّ البيت إنْ اسْتطعتَ إليهِ سَبيلا " قال: صَدقْتَ: فَعَجِبنا له يسألُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قالَ: فَأخبرني عَنْ الإيمان؛ قال: أَنْ تُؤمِنَ باللهِ وَمَلائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخر وَتُؤمِنَ بِالْقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قالَ: صدقت، قال: فَأخْبِرني عَنْ الإحْسَانِّ؟ قال: أَنْ تَعبدَ الله كَأنَّك تراهُ؛ فإن لم تَكُن تَراهُ فَإنَّهُ يَراك، قالَ: فَأخْبِرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤولُ عَنْها بأَعلمَ من السَّائِلِ، قال: فَأخْبِرني عَنْ أمَارَاتِهَا؟ قالَ: أن تَلِد الأَمَةُ رَبَّتَهَا؛ وأن ترى الحُفَاةَ العُراةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتطَاولونَ في البُنيانِ، ثُمَّ انْطَلق فَلَبِثنا مَلِيًّا؛ ثم قال: يا عُمَرُ أَتَدْري من السَّائِلُ؟ قُلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم، قالَ: فإنّه جِبريلَ أَتاكُم يُعَلِّمُكُم دِينكُم].

بعد أن فَرغَ الشيخ - رحمه الله - من سرد مراتب الدِّين والتي هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وبيَّن أركان كلِّ مرتبة منها؛ وذكر أدلّة ذلك من القرآن جاءَ على كلّ ما تَقدَّم بدليلٍ من السنّة أخرجه الإمام مسلم من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذا الحديث يُعرَف عند أهلِ العلم بحديث جبريل عليه السلام، وهو حديثٌ صحيحٌ وهو مشهور، وهو ثاني حديث من أحاديث الأربعين النووية؛ وقد فَصَّل القولَ فيه أخونا الشيخ: أبو زيد رياض عصنوني جزاهُ الله خيرًا ونفعَ بهِ.

هذا الحديث العظيم اعتنى به العلماء عناية خاصّة؛ وشرحوه، ولو شُرِحَ شرحًا مَفَّصلا لأتى شرحه في مجلّدات ضِخام، لأنّه جمع علماً غزيرًا؛ ونحن نقتصرُ على استنباط بعضِ الفوائد منه والله الموفق.

ففي هذا الحديث:

- حِرصُ الصَّحابة . رضي الله عنهم . على الجلوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأخذِ العلم؛ يُؤخَذُ ذلك من قولِ عُمرَ رضي الله عنه: (بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم).
- تَمثُّل جبريلَ عليه السلام في صورة رجلٍ؛ وكان كثيرًا ما يَتَمثَّل في صورة الصحابي دِحْيَة الكَلبِي -رضي الله عنه.
- وفي قول عمر رضي الله عنه: (لا يُرَى عليه أثرُ السّفر ولا يعرفُه مِنَّا أحد)، استغراب من عمر رضي الله عنه؛ وهو حقًّا أمرٌ غريب، فهو ليس من أهل المدينة؛ فلا أحدٌ يعرفهُ من الصحابة؛ ولا يظهرُ عليه علامات السفر، فهو شديدُ بياض الثيّاب شديدُ شواذِ الشَّعر، والمُسافر في ذلك الوقت يقتضي أَن تتْسِخ ثيابه؛ وَيَغْبرّ شعره؛ فليست صفاته بصفات المُسافر، وليسَ من أَهلِ المدينة فَيُعرَف؛ وهذا الذي أثار الإستغراب.
- وفي جَلسة جبريل عليه السلام إلى النّبي صلى الله عليه وسلم أدب الطّالب مع معلّمهِ؛ فقد اقتربَ منه جدًا.
- وفي قول جبريل عليه السلام: (يا مُحَمَّد) زيادة تعْميَة؛ لأنّ الاعراب كانوا إذا جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينادونه بِ (يا مُحَمَّد)؛ وإلّا فالصحابة رضي الله عنهم كانوا ينادونه بِ (يا رسولُ الله) وهذه غريبة أخرى من هذا الرجل الذي لم يعرفوه.
- وفي جوابِ النَّبي صلى الله عليه وسلم له عن الإسلام، وذكر أَركانهِ فقط، تعليمٌ للمعلم أَنْ يقتصرَ على المُفيد والضَّروري؛ لأَنَّ الجواب كُلَّما كان مختصرًا كان أسهل على المستمع والمتعلم، ويسهلُ حفظهُ ووَعيُه، بينما لو طالت الإجابة تَشَعَّب القول ولا يستوعب حينئذ؛ وهذا حال العالم الرَّباني فإنّه يُعلّم صِغار العلم قبل كِباره، وهذه التي تسمّى اليوم بالمنهجية في التعليم.
- وفي قول جبريل عليه السلام: (صَدَقتَ) غريبةٌ أخرى؛ فكيف للسائل أن يُصَدِّق المَسؤول، وإلّا فأمر السائلِ يقتضي جهله؛ لذلك قالَ عمر رضي الله عنه: (فعجِبنا له يسأله وَيُصَدّقه).

- وفي الحديث كذلك لمّا سأل جبريل عليه السلام عن الإسلام؛ سألَ كذلك عن الإيمان؛ وقُلنا فيما سبق بأنَّ الإسلام والإيمان مُتلازمان، ولا يُغني أحدهما عن الآخر، فهما من الأشياء المشتركة التي إذا اجتمعتْ افترقتْ، وإذا افترقتْ اجتمعتْ.
  - إذا افترقا في الذّكر وذُكر أحدهما دون الآخر صارا بمعنى واحد؛ الإيمان والإسلام هما الأعمال الظاهرة والباطنة.
  - أمّا إذا اجتمعا في الذكر صار الإيمان هو الأعمال الباطنة، والإسلام هو الأعمال الظاهرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلامُ عَلانية والإيمانُ في القلب)، أخرجهُ أحمد من حديث أنس رضي الله عنه.
- ثم سأله عن الإحسان، وقد تقدم قريبا وأنّه مرتبتَين : مرتبة المُشاهدة ثم مرتبة المُراقبة.
- وفي سؤالِ جبريلُ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الساعة وقوله صلى الله عليه وسلم: (مَا المَسؤولُ عنها بأعلم مِن السائل) تعليم لنا؛ فإذا كنت لا تعلم فقل: الله أعلم، وهذا ليس عيبًا، فأمرُ السّاعة لا يعلمهُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل البشر، ولا يعلمُه جبريل عليه السّلام وهو أفضل الملائكة؛ فما دونَهما من بابٍ أوْلى، فهي مما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، وفي رواية لهذا الحديث عند البخاري أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في خمسٌ لا يعلمهن إلّا الله: إنَّ اللهَ عِنْده عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلَ الغيث وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٌ تَمُوتُ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، وقال تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ }، وقال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنَ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.
- وفي قولِ جبريل عليه السلام: "فَأخبرني عن أمَاراتِها" أي: علاماتها التي تَدُلُّ على قُربِ قِيامها، ومنها علامات كُبرى ومنها علامات صُغرى، والنّبي صلى الله عليه وسلم ذكر له علامتَين من العلامات الصُّغرى:

أُولاها: (أن تَلِد الأَمَة ربتَّها)؛ قيل في معناها:

يكثُر التسرّي؛ وذلك بأن يتزوج الرجل الأمة له فتكون ابنتها حُرَّه وتكون مالكة لأمّها.

وقد رَجَّحَ الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري واستحسنهُ كثيرًا أنّه كناية على كثرة العقوق؛ حتى يصيرَ الأولاد بمثابة الوالدين في معاملتهم لوالديهم وتحكّمهم فيهم.

أمّا **العلامة الثانية** التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لقرب الساعة:

(أن تَرى الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البُنيان)، وهؤلاء الأصل فيهم أنّهم أهل البادية الذين ينتقلون من مكان إلى آخر، في آخر الزمن يَسكنون المدن ويتطاولون في البنيان، وَصَدقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نَرى ما قاله رأيَ العين.

- وفي قول الصّحابة لمّا سألهم النبي صلى الله عليه وسلم: **(أتدرونَ من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)**؛ أدب الطالب في قول: "الله أعلم"، وقد تقدم.
- وفي قوله صلى الله عليه وسلم: **(يُعَلّمكم دينكم)**، جعل الإسلام والإيمان والإحسان هي: الدين كلّه؛ فالدّين ثلاث مراتب، وكلّ مرتبة لها أركان.
- وكذلك من الفوائد التعليم بطريقة السؤال والجواب؛ وهي طريقةٌ ناجحة، وقد استعملها المؤلف -رحمه الله- في هذهِ الرّسالة كما مَرَّ معنا في قوله: **(فإذا قِيلَ لكَ: مَا الأصولُ الثلاثة؟)** وفي قوله كذلك: **(فإذا قِيلَ لكَ: مَنْ رَبُّك؟)**
- ومِنَ الفوائد المُهمة كذلك قول: (الله أعلم) وقد قالها الرسول صلى الله عليه وسلم وقالها الصحابة كذلك ، وقد سُئِلَ الإمام مالكٌ - رحمه الله - عن أربعين مسألة فأجاب على ستّ؛ وقال في الباقي: الله أعلم، فقال السائل أنا جئتُ من كَذا وكَذا، وسافرتُ من كَذا وكَذا وأتْعُبتُ نفسي وراحلتي وتقول لي: لا أدري! قال مالك: اركب راحلتك واذهب إلى بلدك، وقل لهم: سألتُ مالكا وقال لا أدري، فهذا ليس عيبًا؛ وكذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم كان كثيرًا ما يُسْأل وينتظر الإجابة من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوح مِنْ أَمرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلمِ إِلَّا قَلِيلًا }، وقال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ }، وقال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمنافِعَ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ

لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }، أنتَ تَرى ذلك جَليًا في القرآن، يأتي السُؤال فينتظرُ النَّبي صلى الله عليه وسلم الجوابَ من الله سبحانهُ وتعالى.

هذا الَّذي أردنا بيانهُ وتوضيحه، ونسألُ الله أَن نكون قد وُفّقنا ولو بالشيء اليسير في تقرير بعض الأمور، وبهذا نكون قد انتهينا وأَتممنا الأصلَ الثاني من هذه الأُصول الثلاثة، ودرسنا القادم إن شاء الله يكون في آخر الأصول وهو:

(معرفه النّبي محمد صلى الله عليه وسلم)

نسأل الله أن يُيَّسِر وَيُعين، وجزاكم الله خيرًا على صبركم وتحمُّلكم.

وسبحانك اللّهم وبحمدك أَشهد أن لا إله إلّا انت أستغفرك وأتوب إليك.



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (10)

التاريخ : الخميس 18 - 5 - 1440 هـ

تفريغ الدرس العاشر من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام على أفضل الخلق أجمعين، نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من تَبِعهم واقتفى سُننهم وآثارهم إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فمجلسنا في هذه الليلة - إن شاء الله - هو المجلسُ العاشر من مجالس الأصول الثلاثة؛ لشيخ الإسلام العالم الرباني والمجدد لما اندرس من معالم الدين الإسلامي: أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى؛ وجعل قبرهُ روضةً من رياض الجنّة وجعلنا الله وإيّاه في الفردوس الأعلى.

قال - رحمهُ الله -:

[الأصل الثالث: معرفة نَبيّكُم محمّد صلّى الله عليه وسلم].

(الأصل الثالث): أي: من الأصول الثلاثة التي يجبُ على العبد معرفتها والعملُ بها والدعوةُ إليها والصَّبرُ على الأذى في سبيل ذلك، وهذه الأصول هي معرفة العبد ربّه، ومعرفة دينهِ، ومعرفة نبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا الأصل الأول والثاني فقد مَرَّا معنا بحمد الله، والآن معنا آخر الأصول وهو معرفة النبي صلى الله عليه وسلم.

لمَّا كان النبي صلى الله عليه وسلم واسطةً بين الله عز وجل وبين عبادهِ في تبليغِ دينه و شرعه الإسلام؛ ولا سبيلَ للإنسانِ أن يعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الله؛ ولا سبيلَ لهُ كذلك لمعرفة الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام إلّا بالواسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى؛ فإنّه لا يمكنُ معرفة المُرسِل إلّا بمعرفة المُرسَل؛ من أجل ذلك صار لِزامًا على العبد معرفة جملةً من العلم الذي ينبغي أن يُحصِّله المسلم تجاه نبيهِ محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإلّا كيف تتَّبِع شخصا وتُقلِّده وأنت لا تعلم عنه شيئا ! ومن جملة هذا العلم الذي ينبغي معرفته تجاه النّبي محمّد صلى الله عليه وسلم معرفة اسمهِ ونسبهِ، ومعرفةِ سِنّه ومكان ولادته ومُهاجره صلى الله

عليه وسلم، ومعرفة حياته النّبوية وسَيْر دعوته صلى الله عليه وسلم، وما هو دليل نبوّتهِ، وما هو دليل رسالته صلى الله عليه وسلم، وبماذا أُرْسِل ولماذا أُرْسِل؟ وهذه أعظمُها.

فحقيقة هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمن يشهد أنّ مُحمَّدًا رسول الله إذا قِيلَ له من محمد هذا؟ لم يعرفه، فإنّ شهادتُه هذه فيها خلل، فإنّ من عرف هذا الأصل بالقدر الواجب منه حريٌّ أن يُوفقه الله سبحانه وتعالى للإجابة على سؤال القبر الثالث، أَلَا وهو من نَبيّك؟

قال المُصنِّف -رحمه الله -:

[وهو مُحَمَّدٍ بن عبد الله بن عبد المُطلَّب بن هاشم، وهاشمٌ من قريش وقُريشٌ من العرب، والعرب من ذرِّيّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام].

بَدأ المؤلف رحمه الله بالأمر الأول وهو معرفةُ اسمهِ ونسبهِ صلى الله عليه وسلم.

اسمه: محمَّد وهو أفضل أسمائه صلى الله عليه وسلم، وبه سمَّاه أهلهُ، وجاء ذكرهُ بهذا الاسم في القرآن، وذلك في أربعة مواضع.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ }.

وقال تعالى في سورة الأحزاب: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتم النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }.

وقالَ تعالى في سورة مُحَمَّد: { والّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمَنُوا بِمَا نَزَل عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِم كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ } .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الفتح: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُون فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا } الآية .

لكنَّ الله سبحانهُ وتعالى يُناديهِ كثيرًا في القرآن بالرسالة والنُّبوة، لتشريفه بهما فيقول تعالى: (يا أيّها الرَّسُول) و يقول: (يَا أيّها النَّبِي).

ومُحَمَّدٌ معناه: **الذي يُحْمَدُ أكثر مِمّا يُحمد غيره**؛ أو هو: **الذي كثُرَت خصاله التي يُحْمَد عليها.**

وهو عَلَمٌ مُشتقٌ من التَّحميد ولِمَا فيه من الخصال الحميدة، وله أسماء أخرى كثيرة منها التي وردت في حديث عند البخاري ومسلم، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ لي أسماءً: أنا مُحَمَّد، وأنا أحْمَد، وأنا الماحي الذي يمحي الله بيَ الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قَدمي، وأنا العَاقِبْ)، فذكر في هذا الحديث خمسة أسماء، تقَدَّم الاسم الأول منها وهو مُحَمَّد.

أمّا أحمد فمعناه كثير المحامد، وقد ذُكر هذا الاسم في القرآن في قوله تعالى في بِشارة المسيح عليه السلام: { ومُبشِّرًا بِرَسُولٍ يَأتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد }.

وأمّا (المَاحي): **فهو الذي يمحُو الله به الشرك.**

وأمَّا (الحاشرُ): **فهو الذي يُحْشَر الناس على إثْرِه**، فهو صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وبعده يكون الحشر والسّاعة.

وأمَّا (العاقب): **فهو خاتم النبيّين فلا يُعقبه نبي.**

ومن أسمائه كذلك نبيُّ الرَّحمة، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الملحمة، أي: **الجهاد.**

لُقِّبَ صلى الله عليه وسلم بالأمين؛ أمّا **(كُنيته):** فهو: أبو القاسم.

فهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نَزار بن مَعَدّ بن عدنان.

إلى هنا هذا النسب مُتفقٌ عليه، ولا خلاف فيه البتَّه؛ وما فوق عدنان مُختلفٌ فيه؛ لكن لا خلاف بينهم أنَّ عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وإسماعيلُ هو الذَّبيح على القول الصَّواب عند علماء الصحابه والتّابعين ومن بعدهم؛ وهو المقصود بقوله تعالى: { وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ }.

<u>فأبوهُ:</u> عبد الله، **<u>وجدّهُ الأول:</u>** عبد المطلب، **<u>وجدّهُ الثاني:</u>** هاشم، **<u>وجدّهُ الثالث:</u>** عبد مناف.

فإنّ عبدَ مناف وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم كان له أربعة أوْلاد وهم:-

- **هاشم:** وهو الجدّ الثاني للرّسول صلى الله عليه وسلم، ومنه: الهاشميون.
- **المُطَّلب:** ومنه: المُطَّلِبيون.
- **عبد شمسٍ:** ومنه: عثمان بن عفان رضي الله عنه وبنو أمية.
- **نَوفل:** ومنهم جُبَير بن مُطعم، وحكيم بن حِزام رضي الله عنهم.

وعبدُ المُطَّلب بن هاشم الذي قلنا بأنّه جدّه الأول هذا ليس اسمًا له؛ فإنّ اسمه شَيبة، ويقال له: شيبة الحمد، وذلك لجُوده، وإنّما سُمّيَ بعبد المطلب لأنّ عمَّه المُطَّلب بن عبد مَناف جاء به من المدينة وهو صغير من عند أخواله بني النجار؛ فلمّا رآه الناس أسودًا من السفر ظنّوا أنّه عبدٌ مملوك للمُطلب؛ فقالوا عبدَ المطلب، فبقي هذا اسماً له.

هؤلاءِ من قُريش، وقريش هم أشرف قبائل العرب .

والعربُ أقسام **<u>: بَائدة وعارِبة ومُستَعرِبةِ:</u>**

- **<u>العرب البائدة:</u>** وهولاء الذين أهلكهم الله، وهم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وشُعيب.
- **<u>العربُ العارِبة:</u>** وهم القحطانية، من حِميَر من اليمن، وهم أصل العرب.
- **<u>العرب المُستعربة:</u>** وهم العدْنانِيَة، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة و السلام؛ سُمُّوا مُستعربة لأنّهم تعلَّموا العربية من العرب العارِبة. فإنّه لمَّا جاءت جُرْهُم ونزلوا مكّة وجدوا ماءَ زمزم فطلبوا من هاجر أن تسمح لهم بأن يَستقُوا الماء فأذِنت لهم؛ وإسماعيل وقتها كان رضيعًا؛ فتربَّى ونشأ وأخذ العربية من جُرهم الذين هم العرب العارِبة، وتزوَّج منهم، وجاءه ذُريَّةٌ تعلّموا العربية ونشأوا مع العرب فصاروا عربًا مستعربةِ؛ الذين يقال لهم العَدْنانيَة، فصارَ لسانُهم عربيًا واضحًا، حتى قيل أكثر من العرب العاربة.

وإبراهيمُ عليه السلام هو خليلُ الرحمٰن، قال الله تعالى: {واتَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً }، وكذلك نبيُّنا محمّد صلى الله عليه وسلم هو خليلُ الرَّحمٰن، **<u>والخُلَّة</u>** هي: **أعلى درجات المحبّة**، وهي مرتبة وصفة

لا تثبت إلّا لنبيَّين كريمَين هما أفضل الأنبياء والمرسلين، وهما نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم، ونبيُّ الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وإبراهيمُ عليه السلام له إسماعيل وهو جدُّ العرب العدْنانيَة، وله إسحق وهو جدُّ بني اسرائيل، وجميع الأنبياء من ذرية إسحاق بن إبراهيم إلّا محمد صلى الله عليه وسلم فهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

فهو كما كما تَرى خُلاصةُ الخُلاصة، فهو أشرفِ وأفضلُ وأطْهرُ نسب على الإطلاق، وإنّما كان أشرفها لأنّه يشترك مع كلّ قبائل العرب في النسب، وأفضلها لأنّ نسبه صلى الله عليه وسلم حوى خيرَ البشر، وأطهرها لأنّ نسبه صلى الله عليه وسلم من نِكاحٍ لا من سِفَاح.

وفي الحديث الذي واثِلة بن الأسقع عند مسلمٍ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قُريشاً من كِنانة، واصطفى من قُريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

فهو صلى الله عليه وسلم خيارٌ من خيارٍ من خيار، وهو صلى الله عليه وسلم اختاره الله سبحانه وتعالى من أفضل ولد إسماعيل وهم كِنانة، ومن أفضل كِنانة وهم قُريش، ومن أفضل قُريش وهم بنو هاشم، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم.

وفي الصّحيحين من حديث أبي سفيان رضي الله عنه وقصَّته مع هِرَقل وسؤال هِرقل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان فيما سألَه أنْ قال: كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، إلى أن قال هِرقْل لأبي سفيان، سألتُك عن نسبِه فذكرت أنّه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها، أي: في أكْرمِها أحْسابًا.

ومن حِكَمِ هذا النَّسب أنّ التَّفاخُر بالأحساب والأنساب كان على أشُدّهِ قُبُيل مَبْعث النّبي صلى الله عليه وسلم، فلو بُعث في نسبٍ وَضِيع لكان هذا سبباً في ردّ دعوته من كثير من القبائل؛ والله سبحانه وتعالى اختار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النسب ليُعينَ النَّاس على قَبول دعوته صلَّى الله عليه وسلم، فلا يُمكن من كان هذا نَسبُهُ وهذا جاهُه ومكانته أن يدَّعي النُّبوة ليبْحث عن جاهٍ ومكانةٍ وشرَف، فهو صلّى الله عليه وسلم ذو شرف وذو نسب وذُو مكانة و جاه صلى الله عليه وسلم، فنسبه كفيلٌ برفعته صلى الله عليه وسلم.

ومن الحِكَم التي ذكروها أيضا أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يرفع ذِكر العَرب؛ قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ }، فإنَّ النُّبوَّة انقطعت عن العرب مُدّة طويلَة؛ ارتفع فيها بنو إسرائيل زمنًا طويلًا حتى تكبّروا وقالوا لن تخرجَ النُبوّةُ عن بني إسرائيل، فأرغَم الله أنُوفهم وجعلها في العرب.

وهو صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم، قال الله تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ }، وبشارة عيسى به قومه، قال الله تعالى: { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ }.

ثم قال الشيخ - رحمه الله -:

[وَلَهُ من العمر ثلاث وستُون سنة، منها أربعونَ قبل النُّبوة، وثلاث وعشرونَ نبيًّا رسولا].

وُلِد صلى الله عليه وسلم في يوم إثنين في ربيعٍ الأول، ولم يثبُت شيء في تاريخ ولادته؛ ولم يثبُت أنّه يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ووُلِد صلّى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك قبلَ الهجرة بثلاثٍ وخمسين سنة، وهو العامُ الذي جاء فيه أبرَهة ملِكِ اليمن ومن معه لهدْمِ الكعبة، وقِصةُ أصحاب الفيل مشهورةٌ معروفة.

وُلِد عليه الصلاة والسلام على مقرُبَة من الكعبة، ولا يوجدُ تحديدٌ ثابتٌ يدلّ على مكان ولادته بالضبط.

أبوه: عبد الله، مات وهو حملٌ في بطن أمه: آمنة بنت وهب القُرشيَّة، ونشأ صلى الله عليه وسلم يتيما، وأرضعته ثُوَيْبةُ مولاة أبي لهب، وأرضعته كذلك حَليمة السّعدية، ثم توفِّيَت أمّه وهو ابن ست سنين، فكفَله جدُّه عبد المطلب، ولم يلبَث أن تُوُفي، فانتقلت كفالته إلى عمِّه أبي طالب، فلم يَزل يحُوطُه وينصره و يرفعُ من قَدرِه ويُوَقّره، ويَكُفُّ عنه أذى قوْمه، تَزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة قبل البعثةِ بسنين، ومنها أولاده إلّا إبراهيم فإنّه من مَارية.

عاش أربعينَ سنةً قبل النبوة معروفًا بالأمانة والصدق والكرم، وتجنُّب أعمال أهل الجاهليَة من شُرب الخُمور وعبادةِ الأوثان، وحُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخرجِ إلى غار حِراء ويتعبَّد الله فيه الأيَّام

ذات العدَدْ على ملّة إبراهيم على التّوْحيد، فكان يعبد إلهًا لا يعرف من هُو، ولا يعرف كيف يعبُده؛ لذلك قال الله تعالى: { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى }، وليس معنى: (ضَالًّا) هنا، أنّك تعمل أعمال أهل الضلال؛ وإنّما حائرًا في كيفيَة عبادة الله، قال الله تعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ}.

ولَمَّا كَان في سنِّ الأربعين أُوحيَ إليه، فصارَ نبيًّا رسولا؛ فإنّ هذا السِّن هو الذي تكتملُ فيه قوة الرْجل، وهو سن اكتمال الأشُد، قال الله تعالى: { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً }.

ولَمَّا قام يدعو إلى ما أمرهُ الله به ازدَاد أذَى قُريش له، وهو صابرٌ محتسب، وعمّه أبو طالب يحميهِ ويدافعُ عنه؛ هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان؛ وكلُّ ذلك بقدرِ الله وحُسن تدبيره، إلى أن توفِّيَ أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وماتت بعده بيسير خديجة زوج النّبي صلى الله عليه وسلم فسُمِيَ عام الحزن.

وبعد ذلك أقدم عليهِ سفهاء قريش وجُهَّالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتَمّ والأكمل؛ فلمّا وصل إليهم آوَوْه ونَصروه وحَاطُوه وقاتلوا بيْن يَديْه رضي الله عنهم أجمعين، وكلُّ هذا من حفظِ الله له وكلاَئَتهِ له وعنايتِهِ به.

عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثًا وعشرون سنة نبيًّا ورسولا، منها ثلاثة عشرة سنة في مكة، وعشر سنين في المدينة بعد هجرتهِ إليها صلى الله عليه وسلم، وماتَ صلى الله عليه وسلم ولَهُ من العمر ثلاث وستون سنة صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رحمه الله:

[نُبِىءَ بإقرأ وأُرْسل بالمدَّثر].

أخرج الإمام البخاري رحمه الله عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنّها قالت: (أوّل ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرُّؤيا الصَّالحة في النَّوم؛ فكان لا يَرى رُؤيا إلَّا جاءت مثل فلَقِ الصُّبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، أي: - العزلة لِمَا كان يرى عليه قومَهُ من عبادة الأوثان وسجودهم للأصنام - ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه، والتَّحنُّث: هو التعبد الليالي

ذوات العدد قبل أن يَنزِع إلى أهله، أي: - قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزوّدُ لذلك من أخذ ما يكفيه من مأكل ومشرب - ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لِمِثْلها حتى جاءه الحق، أي: - الوحي -، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطَّني، أي: - ضَمَّنِي - ، حتى بلغ منّي الجَهد، ثم أرسلني، أي: - أطْلقني -، فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ منّي الجَهد ثم أرسَلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني، فقال: إقْرَأ باسمِ ربِّك الْذي خَلَقْ خَلَقَ الإنسان من علق اقرأ وربُّك الأكرَم؛ فَرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجِف فؤادُه، - بهذا صار صلى الله عليه وسلم نبيًا - ، فدخل على خديجة بنت خُويلد رضي الله عنها، - هذه المرأة الصَّالحة أمُّ المؤمنين التي اصْطفاها الله عز وجل لِنُصرة نبيه صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته ، فقد آزرته وناصرَتْه، وثبَّتَ الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بهذه المرأة العاقلة رضي الله عنها وأرضاها - ، فقال: زمّلوني زمّلوني، أي: - غطوني - ، فزمَّلوهُ حتى ذهب عنه الرَوْع - لأنّه صلى الله عليه وسلم رأى ما لم يرَهُ من قبل؛ فأصابهُ فزع وخوفٌ شديد، - فقال لخديجة وأخبرها الخبر، فقال: لقد خَشِيْتُ على نفسي، فقالت خديجة - هذه المرأة الحكيمة العاقلة رضي الله عنها - : "كَلّا والله لا يُخزيك الله أبدا، إنّك لتصل الرَّحم، وَتحمل الكَل، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضَّيف، وتُعين على نوائب الحق"، فانطلقت به خديجةُ حتى أَتَتْ به ورقة بن نوفل بن أسَد بن عبد العزَّى ابن عمِّ خديجة؛ وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله له أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ .

- وانظر إلى خديجة وحِكمتِها وعقلها، أخذت النبي صلى الله عليه وسلم إلى عالمٍ بهذه الأمور، لم تأخذه إلى كاهنٍ أو ساحر؛ وإنّما ذهبت به إلى عالم وهو وَرَقَة، وورقة هذا هو وَرَقَة بن نوفل بن أسَد بن عبد العزَّى بن قُصَي، وهو ابن عمِّ خديجة رضي الله عنها.

وقد اخْتلف أهل العلم في إثبات إسلامه وصُحبته، عَدَّهُ في الصحابة غير واحد من أهل العلم، ورَجّح إسلامه بهذا الحديث من المُعاصرين: ابن بازٍ وشيخُ شيخنا الوادعي، وكذلك رجحَّهُ ابن عثيمين والفوزان وذكرا أنّه صحابي، والله أعلم - .

فقالت له خديجة: يا ابنَ عم اسمع من ابن أخيك، فقال لهُ ورقة: يا ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى؛ فقال له ورقة: هذا النَّاموس – أي: الملَك - الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ، - أي: شابًّا قويًّا . فأنصُرَك - ، ليتَني أكون حَيًّا إذ يُخرجك قَومُك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومُخرجِيَّ هُمْ؟ قال: نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلّا عُودي، وإن يُدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزّرا، ثم لم ينشَب ورقة أن توفي، وفتَرَ الوحي؛- فكانت وفاة ورقة قبل نزول الوحي مرَّة أخرى - .

وقال ابن شهاب: أخبرني أبو سَلمة ابن عبد الرحمن أنّ جابرًا بن عبد الله الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحَدِّثُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُحَدِّث عن فترة الوحي، وفي رواية: ثم فترَ الوحي فترة – أي: انقطع فترة -: (فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السّماء فرفعْتُ رأسي فإذا الملَك الذي جاءني بِحرَاء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فجئت منه فرَقًا - أي: خائفًا - فرجعتُ فقلت: زَمّلوني زَمّلوني، فدثّروني؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} ثم تتابع الوحي) وهذا الحديث متفقٌ عليه ، وبهذا أرسله الله سبحانه وتعالى بمَطلع سورة المدّثر .

وعلى قولِ المؤلف وهو قول مشهورٌ عن أهل العلم أنّ <u>النبي :</u> **هو من أُوحِي إليه بشرع ولم يُؤَمَر بتبليغه**، فإنّ أُمر بتبْليغه فرسولٌ ، لكنّ الله سبحانه وتعالى لم يُفرق بين الرسول والنبي في التبليغ فقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ } فكلٌّ من الرسول والنبي مُرسلاَن ومُكلَّفان بالتبليغ، وكذلك الآيات الواردة في شأن العلماء الذين يكتمونَ العلم تَتُضمّنُ وعِيدًا عظيمًا، فكيف بالنَّبي الذي أوحى إليه فهو أولى بالتبليغ من العالم.

وقد سبقَ لنا وقرَّرنا أنّ الصحيحَ والراجح أنّ <u>**الرسول**</u> : **هو من أوحي إليْه بشرعٍ مُستَقِل**، وأمَّا <u>**النَّبي**</u> : **فهو من أُرْسل تحت شريعة رسولٍ قبله**، فكلُّ رسول نبي لا العكس.

ثم قال المصنف - رحمه الله -:

[وبلدهُ مَكَّة، وهاجر إلى المدينة].

(بلده مَكَّة) : وبها وُلد صلّى الله عليه وسلم، وعاش فيها أربعين سنة قبل النبوة وثلاثة عشرة سنةً نبيًّا رسولاً.

ومكّة أحبُّ البِقاع إلى الله، وزادها الله تشريفًا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، ومن أسمائِها بَكَّة وأمُّ القُرى والبلد الأمين.

وهذا يدُلُّك على أنَّ الله سبحانه وتعالى اختار لنبيِّه كُلَّ شيء، فهو أفضل البشر من أفضل النَّسب، من أحبِّ البقاع إلى الله (مَكْة)، وأنزل عليه أفضل الكتب الذي هو القرآن، وأنزله في أعظم ليلة التي هي ليلة القدر.

ثمّ هاجر صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة، وله من العُمر ثلاثاً وخمسين سنة، ومكث فيها عشر سنين حتى تَوفّاهُ الله سبحانه وتعالى، وكان عمرهُ ثلاثاً وستين سنة، فدامت مدّةُ رسالته صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرين سنة.

ثم قال المُصَنِّف - رحمه الله -:

[بعثَهُ الله بالنذارة عن الشركِ ويدعو إلى التوحيد].

<u>الإنذار</u> : في *اللّغة*: **إعلامٌ مع التَّخويف.**

قدَّم المؤلف - رحمه الله - النذارة عن الشرك على الدعوة إلى التوحيد لأنّ هذا مدلول لا إله إلّا الله؛ النفي ثم الإثبات.

فالتّوحيد لا يصحُّ ولا يُقبَل مع وجود المنافي الذي هو الشرك، وهو دعاءُ غير الله مع الله.

وهذا الواجبُ على الدُّعاة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ عليهم أن يُركّزوا على دعوة النَّاس إلى التَّوحيد، ويحذرُوهم من الشرك.

وقد بقيَ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك طِيلة مُكثِهِ في مكّة، ثلاثَ عشرةَ سنة منها ثلاثٌ مضت في الدعوة السرّية، وعشر سنِين جَهَر بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولقيَ ما لقيَ،

وأُوذي في سبيل الله صلوات ربي وسلامه عليه، فقد كان يقول لقومه: (يَا قَوْمِ قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا الله تُفْلِحُوا).

ثم قال -رحمه الله -:

[والدليل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}].

قالَ ابن كثير - رحمه الله -: أيْ **شمَّر على ساعدِ العَزم وأنْذر الناس.**

(يا أيُّها المدَّثر) : النِّداء للنَّبي صلى الله عليه وسلم.

المُدَّثر: أصلها المُتدثّر وأُدغمت التاء في الدال، ومعنى المُدَّثر: **المُلتحف بثِيابه المُتغشِّي بها من شدَّة الرُّعب الذي حصلُ له من رُؤية المَلك عند نزول الوحي** ، لأنهُ لمّا أصابه صلى الله عليه وسلم الفزع والخوف قال: (دَثّرُوني دَثّرُوني) ، أي: غَطُّوني، فأنزل الله عليه هذهِ الآيات: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}.

ثم قال -رحمه الله -:

[ومعنى قُمْ فَأَنْذِر: يُنذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد].

(قم) : أمرٌ بالقيام، قُم من دِثارِك فأنذرهم وحذرهم بجد واجتهاد، بعزمٍ وتصميم من عذاب ربّك إن لم يُؤمنوا.

فحصل بهذا الإرسال كما سبق.

(فأنذر) : أي أَعْلِمْ قومك بحقيقة الشرك وخطورته وحذرهم منه، فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بجدٍّ ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويُحذرُهم منه.

ثم قال - رحمهِ الله -:

[وربَّك فكبّر أي: عظّمهُ بالتوحيد].

وذلك باعتقاد تفرُّده بالرُّبوبية والألوهية والأسماء والصفات، وَخَصَّ المصنِّف -رحمهُ الله - تعظيم الله بالتّوحيد لأنّه أعظم ما أمرَ الله به، والأمرُ للنبي صلى الله عليه وسلم أمرٌ لأُمَّتهِ، فهي تَبَعٌ له في ذلك، فكلَّ مكلَّفٍ من عالم الجن والإنس مخلوق لتَوحيد الله سبحانه وتعالى الذي يتجلَّى في أنواع التوحيد الثلاثة.

ثم قالَ - رحمهُ الله -:

[وثِيَابَك فطهِّر أي: طهِّر أعمالك عن الشرك] .

(وثِيابَك فَطَهِّر) : فسَّر السلف الثياب هنا بتفسيرَيْن:

الثياب المعنويَة: أي: طهِّر أعمالك عن الشِّرك والبدع والمعاصي؛ فإنّها قذارةٌ ووساخةٌ للقلوبِ والأرواح، وهذا الذي ذهبَ إليه الجُمهور، والمؤلّف - رحمه الله - مع الجمهور في هذا القول، وخَصّ المُؤلّف تطهير الأعمال من الشرك لأنّه أعظمُ ما نهى الله عنه.

الثياب الحسّيِة: أمر الله نبيه أن يطهّر ثيابه من النّجاسة.

ثم قال:

[والرُّجز فاهجُر].

(الرّجز) : الأصنام، وهجرُها تركها وأهلُها، والبراءة منها وأهلُها.

(الرُّجزُ) : كما قال المصنف: الأصنام، وهجرها تركُها والابتعاد عنها، وأن يصاحب تركَها والابتعاد عنها تركُ أهلها والابتعاد عنهم؛ والتبرُّء منها وأهلها، والبراءةُ هي التَّركُ وزيادة.

(الرُّجزَ) هي: الأصنام، يُطلق أحيانًا الصنم على الوَثن، والوُثن على الصنم؛ لكن الوثن أعمُّ من الصنم.

- **الوثنُ: هو ما عُبِدَ من دون الله ولو لم يكن على صورة.**
- أمّا الصنم: **فهو ما عُبِد من دون الله على صُورة**، كصورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك.

ولا يلزمُ من أمر الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلم بترك الأصنام أنَّهُ كان يعبدها؛ لكنَّ النّهي هنا للتّحذير والتنفير، ومثال ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ}، فأَمَرَ الله هنا نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالازدِيَاد من التّقوى.

وأمّا قوله تعالى: [وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ] ذُكِر في تفسيرها عدَّة معان، ومنها: **الإشارةُ إلى الإكثارّ من الصدقة، وحثٌّ على الكرم والجود وعلى عدم المَنْ.**

وقوله تعالى: [وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] أمرٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحبِس نفسه على طاعة الله وعن معاصيه، وأن يحبِس نفسه على أقدار الله المُؤلِمة، ويكون ذلك بحبس اللِّسان عن التَّشكي وقلبه عن التسخط.

ثم قال - رحمه الله -:

[أخُذُ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد] .

لا يدعو إلّا إلى التوحيد، وينذر الناس عن الشرك؛ وهذا يدلّ على عِظم التوحيد لأنّه أصلُ الدين وأساسه وبه الفوزُ بالجنّة والنّجاة من النار، ولم يُؤمر بشيء في هذه العشر لا صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حجّ؛ فالتّوحيد التُّوحيد، وهذه دعوة الأنبياء جميعًا من أوّلهم إلى آخرهم .

قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }، وقال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } .

والله سبحانه وتعالى قد قَصَّ علينا قَصَصَ المُرسلين لنعْتبر بها ونعملَ بها، فما من نبيٍّ ولا رسول إلّا وقال لقومه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لقومه: (يا قومِ قُولوا: لا إله إلّا الله تُفلحوا) وهذا رواه الإمام أحمد.

ولمّا بعثَ النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن ماذا قال له؟ قال: (إنّك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحّدوا الله)، وفي روايةٍ : (أن يشهدوا أن لا إلهَ إلّا الله).

فأساس دعوة النّبيّين جميعًا ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم هي التوحيد؛ لذلك يجب التركيز على التوحيد والعناية به دائمًا وأبدًا، ودعوة الناس إليه وتعليم الناس إيّاه وأن يبيّن لهم معنى التوحيد ومعنى الشرك.

ثم قالَ - رحمه الله -:

[وبعد العشر عُرِجَ به الى السماء وفُرضت عليه الصلوات الخمس وصلّى في مكّة ثلاث سنين].

هذهِ إلى الدرس القادم إن شاء الله، نسألُ اللهَ أن يبلّغنا ذلك ونحن في أمنٍ وعافية.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (11)

التاريخ : الخميس 25 - 5 - 1440 هـ

تفريغ الدرس الحادي عشر من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ لله وحده، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من لا نبيَّ بعده، وأشهدُ أَنْ لا إله إلَّا الله وحدهُ لا شريكَ له، أمّا بعد:

فهذا المجلسُ قبلَ الأخيرِ من مجالسِ شرحِ الأصولِ الثلاثة؛ لشيخِ الإسلام مُحمَّد بن عبدِ الوَهّاب - رحمهُ الله - وجزاهُ الله خيرَ ما جزى عالمًا عن أمته.

ولا زِلنا معكم في ذكرِ بعضٍ من سيرةِ النَّبي المُختار، سيّد الأولينَ والآخرين، خَاتَم النبيين والمُرسلين، خليل الرحمن، مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشميّ القرشيّ، أفضلُ النَّاس وأطهرهُم نسبًا، نشهدُ الله أنَّه قَد بَلَّغ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة ونصحَ الأُمْة، وجاهدَ في الله حقَّ جهادهِ حتى أتاهُ اليقين، صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

وكُنَّا قد وصلنا إلى حادثةِ المعراج.

قال شيخ الإسلام - رحمهُ الله -:

[وبعدَ العشر عُرِجَ به إلى السماء وفُرِضَتْ عليهِ الصّلوٰات الخَمْس].

مَكَثَ صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين يدعو إلى لا إِلَه إِلَّا الله ويُحَذِّر النَّاس من الشركِ باللهِ العظيم؛ لا يدعو إلّا إلى ذلك سرًا وجهراً؛ ليلًا ونهارًا؛ وما ذلكَ إلّا لِأَنّ أعظمَ ما أمر الله به التَّوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، وقبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنين حدثت هذه المُعجزة الإلهية، التَّي خصَّ الله سبحانه وتعالى بها نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

والإسراءُ ثابتٌ بنصِّ القرآن، فقد ذُكر في بداية سورة الإسراء عند قول الله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

والمعراجُ ذُكِرَ في بدايةِ سُورة النَّجم، قالَ الله تعالى: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ} .

وهو ثابتٌ في السنَّةِ كذلك؛ فقد أخرجَ هذه القصة البخاري ومسلم في صَحيْحِيهِما في مواضعَ كثيرة، وأخرجها غيرهُم كذلك.

أمَّا الإسراء **فهو السيرُ ليلًا، وكان من مكَّةَ إلى بيت المقدس**، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

وأمَّا المعراجُ **فهو الصُّعود، وكان من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى**، ومن معانيهِ كذلك: **آلة الصعود، وهي السلَّم أو المِرقاة**، فيكونُ معنى المعراج: **الليلة التي صُعِدَ بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها على المعراج؛ وأُسْرِيَ به صلى الله عليه وسلم يقظةً لا مناما، وبروحهِ وجسدهِ صلى الله عليه وسلم.**

وهي من المعجزات التي خُصَّ بها نبينا صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا.

فبينما هو عندَ الكعبة بين النائم واليقظان صلَّى الله عليه وسلم ، أتته ملائكة فشقت ما بين ثغره نحرهِ إلى أسفل بطنه، ثُمَّ اُسْتخرِجَ قلبهُ ومُلِئَ إيمانًا وحكمة، تهيئةً لهُ لِمَا سيقوم به صلى الله عليه وسلم.

ثم أُتِيَ بدابة بيضاء يُقال لها البراق، فوق الحمار ودون البغل، هذا البراق يضع خطوة عند منتهى طرفهِ، فَركبهُ صلى الله عليه وسلم بصحبة جبريل عليه السلام، حتى وصلا إلى بيت المقدس، وكانَ النَّاس في ذلك الزمن يقطعون هذه المسافة في مدة شهر، لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام على هذا البراق قَطعوها في نحو ساعة من الزمن، فنزل هناك وربطَ هذه الدّابة في حلقة باب بيت المقدس، وصلَّى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بجميع الأنبياء والمرسلين إماماً، وكيفيَّة ذلك أنَّ هذا من الأمور الغيبية التي لا ينبغي السؤال عنها بكيف، ونحنُ والحمدُ لله أمَّة

الإسلام امتدحنا الله في أوائل سورة البقرة بالإيمان بالغيبِ، فصلَّى النبي صلى الله عليه وسلم بجميع الأنبياء والمرسلين حقيقةً ، وفي هذا فضلٌ عظيمٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وشرف لأمته.

ثُمَّ عَرَجَ (أي: **صَعَدَ**) به جبريل عليه السلام إلى السماء الدنيا؛ فوجد فيها آدم عليه السلام، ثُمَّ صَعد به إلى السماء الثانية فوجد فيها يحي وعيسى عليهما السَّلام وهما ابنا خالة، كلٌ منهما ابنُ خالة الآخر، ثم صَعَد به إلى السماء الثالثة فوجد فيها يوسف عليه السلام، ثُمَّ صَعَد به إلى السماء الرابعة فوجد فيها إدريس عليه السلام، ثُمَّ صعد به إلى السماء الخامسة فوجد فيها هارون ابن عمران، أخو موسى عليهما السلام، ثُمَّ صَعد به إلى السَّماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام، ثُمَّ صَعد به إلى السماء السابعة فوجدَ فيها إبراهيم عليه السلام مُسْنِدًا ظهره إلى البيت المعمور، وقد تَقَدَّم معنا ذكر البيت المعمور، وأنَّه يدخلهُ كلّ يوم سبعونَ ألف ملك يتعبدونَ الله فيه ويصلون ثُمَّ لا يعودونَ إليه، ويأت كلَّ يومٍ غيرهم من الملائكة الذين لا يُحصي عددهم إلّا الله سبحانه وتعالى.

وكلُ سماء محروسة لها حُرَاس من الملائكة، وكلُّ سماءٍ يَستفتحُ جبريل ويقال له مَنْ؟ فيقولُ: **جبريل**، فيقالُ: **وَمَنْ معك؟** فيقولُ: **مُحَمَّد**، فيُقال: **وهل أُرْسِلَ اليهِ؟** فيقولُ: **نعم**، فيفتَح، وكلُّ نبيّ من الأنبياء يُسلم عليه ويقرّ بنبوته صلى الله عليه وسلم.

آدم و إبراهيم قالا له: **مرحبًا بالنبي الصالح والإبن الصالح.**

وأمّا بقيَّةُ الأنبياء قالوا: **مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.**

ثُمَّ تجاوز إلى سِدرة المنتهى بعد السبع الطباق، فَغَشِيها من البهاءِ والحسن ما غَشِيها؛ حتَّى لا يستطيع أحدٌ وصفها، قال الله تعالى: { إِذْ يَغْشَىٰ الْسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَىٰ } .

حتَّى وصلَ إلى مكانٍ يسمعُ فيه صريف الأقلام التي تكتبُ القدر، فكلَّمهُ ربّه بدون واسطة، لكن لم يرهُ على الصَّحيحِ؛ وإنَّما كلمه من وراء حجاب، لحديث أبي ذر عند مسلم قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيتَ ربَّك؟ قال صلى الله عليه وسلم : (نُورٌ أَنَّى أَراهُ !)

ثُمَّ فَرض الله عليه الصَّلاة خمسينَ صلاة كلّ يوم وليلة؛ فرضيَ صلى الله عليه وسلم وَسَلَّم، ثُمَّ نَزَل، فلمَّا مَرَّ بموسى عليه الصَّلاة والسلام في السماء السادسة قال لهُ: **ما فرضَ ربُّك على أُمتك؟** قال: (خمسين صلاة في كلّ يوم)، فقال موسى: **إنّ أمتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجتُ بني اسرائيل أشد المعالجة؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك**، فَما زالَ يراجعُ حتى خُفِّفَت إلى خمس، وقال له موسى عليه السلام: **اسأله التخفيف عن خمس**، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا؛ إنِّي سألتُ ربي حتَّى استحييت).

فنادى مناد من السماء: **أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي، هُنَّ خمسٌ وهُنَّ خمسون، لا يُبَّدَل القول لدي؛ خمسٌ في العدد وخمسونَ في الأجر، فضلًا من الله ورحمة**، ومِصْداق ذلك قول الله تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا }.

وهذه يدلّك كذلك على عِظَمِ شأن الصَّلاة فقد فُرضت في السماء، ثُمَّ نَزَل من السَّماء إلى بيتِ المقدس، ثُمَّ أنّه رَجع إلى مكة في ليلته؛ فلمّا أصبح وأخبر الناس بذلك ذهب المشركون إلى أبي بكرٍ الصديق - رضي الله عنه - وظنُّوا أنّه يُكذبه، فقالوا: أنظر صاحبك ما قال؟ قال: وماذا قال؟ قالوا: يَزعُم أنه ذُهِبَ به إلى بيت المقدس وعُرِجَ به إلى السماء وأنّه جاء وهذا في ليلة واحدة، فقالَ أبو بكر -رضيَ الله عنه -: إن كان قال فقد صدق، قالوا: كيفَ ذلك؟ قال: أنا أُصدّقهُ فيما هو أعظمُ من ذلك؛ أصدُقهُ في خبرِ السَّماء؛ فكيفَ لا أُصَدّقهُ في الإسراء إلى بيت المقدس؟

قالَ الشيخ -رحمه الله - بعد ذلك:

[وصلَّى في مكة ثلاث سنين].

صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في مكةَ ثلاث سنين قبلَ أن يُهاجر إلى المدينة، وكان صلى الله عليه وسلم يُصلي الرباعيةَ ركعتين، ولمّا هاجر إلى المدينة أُقرّت صلاةُ السفر وَزِيدَ في الحَضَر، فقد أَخرجَ البخاري ومسلم من حديث عائشةَ - رضي الله عنها - قالت: **فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعا، وتركت صلاة السفر على الأولى.**

ثم قالَ - رحمه الله - :

[وبعدها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينة].

انتقلَ الشيخ رحمهُ الله هنا إلى الحديث عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنّه لمَّا أشتدَّ أذى قريش وزاد شرهم بالصدِّ عن سبيل الله ومضايقهِ المسلمين وتعذيبِ من ليس له جماعةٌ تحميهِ، كانَ النّبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ويعرض دعوته في موسم الحج، يذهب إليهم في منى ويدعوهم إلى الله؛ وصادف أن لقي أناسًا من الأنصار، أي: من أهلِ المدينة، فَعرضَ عليهم الإسلام فأسلموا، وقَبلوا دعوته صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قدموا إلى الحج من العام الذي بعده، مع بعض قومهم وكانوا اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج فأسلموا؛ وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى، وبعثَ معهم مُصعب بن عمير يُقْرؤهم القرآن وَيعلّمهم الإسلام.

وفي العام الذي بعدهُ في موسم الحج في ذي الحجة قبل الهجرة بثلاثة أشهر جاء جماعة من الأنصار وكانوا ثلاثاً وسبعون رجلاً وامرأتان، وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وعلى أن ينصروهُ إذا هو هاجرَ إليهم، وأن يحموهُ مِمَّا يحمون منه أنفسهم وأولادهم، وهذه هي بيعة العقبة الثانية.

وبعدَ هذه البيعة أَمَر النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مكة من المسلمين أن يهاجر إلى المدينة، وَبقي الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه؛ فلمَّا علمت قريش بالبيعة التي حصلت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأنصار؛ وبهجرة الصحابة إلى المدينة، خافوا أن يلحق النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في المدينة وتكونُ لهم القوة، وتقوم لهم دولة، فتآمروا على قتلهِ صلى الله عليه وسلم، فاجتمع كبراء قريش في دار النَّدوة، وتشاوروا في أمره، فأشار إليهم عدوُّ الله أبو جهل أن يأخدوا من كلّ قبيلةٍ شابًا قوياً ويُعطى سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجلٍ واحد، يقتلوه ويتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيعُ بنو عبد مناف (وهم عشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم) أن يحاربوا قومهم جميعًا فَيَرضون بالدية؛ لكن قال الله تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَّكُرُونُ وَيَمْكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

في هذه اللّيلة التَّي أرادوا تنفيذ مكرهم وقتلَ النبي صلى الله عليه وسلم حاصروا البيت، ووقفوا عند الباب معهم أسلحتهُم، فأَخبر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم وأذنُ له بالهجرة، وأَمر النبي صلى

الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه أن ينامَ على فراشهِ، فإذا رآهُ المشركون ظنُّوه الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم وهم لا يشعرون؛ فأعمى الله أبصارهم، وذرَّ الرسولُ صلى الله عليه وسلم التراب على رؤوسهم، وذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه وخرجا وذهبا إلى غار ثورٍ واختفيا فيه ثلاثة أيام، وقريشٌ تطلبه بأي وسيلة، حيًا أو ميتا، وجعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما ديته مئة من الإبل، وكانوا يقفون على الغار ولو أنَّ أحدهم نظر إلى أسفل قدميه لأبصرهم؛ لكنَّ الله كان معهم، بحفظهِ ونصرتهِ، وقد أشرنا إلى هذا عند ذكرنا لأقسام المعيَّة في المرتبة الثالثة من مراتب الدين، ألا وهي: مرتبة الإحسان، قالَ الله تعالى: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }، قالَ أبو بكرٍ -رضي الله عنه -: **يا رسولَ الله لو أنَّ أحدهم نَظَرَ إلى قدميةِ أبصرنا**، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بكر ما ظَنُّك باثنين الله ثالثهما)، فلمّا يَئِسَتْ قُريش من الحصول عليهما، خرجا من الغار مُتجهين إلى المدينة، ولمَّا سَمِعَ أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم كانوا يخرجون صباح كلّ يوم إلى الحَرَّة ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه حتى تطردهم الشمس؛ ولمّا كان ذلك اليومُ العظيم استقبل المسلمونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح يبدون استعدادهم للجهاد والدِّفاع عنه صلى الله عليه وسلم، فنزلَ صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضعَ ليال وأسس المسجد ثم ارتحلَ إلى المدينة والناس معه، وآخرون يَتَّلقونه في الطرقات، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: **خرج الناس حين قَدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت، والخدم والغلمان يقولون: اللهُ أكبر جاءَ رسولُ الله، اللهُ أكبر جاءَ مُحَمَّد.**

ثم قالَ - رحمهُ الله -:

[والهجرة: الانتقال من بلدِ الشرك إلى بلد الإسلام] .

<u>الهجرةُ</u> في *اللغة*: من الهجر وهو الترك.

وأمّا في *الإصطلاح* فهي كما عرفها المؤلف -رحمه الله -: **الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.**

قال:

[والهجرة فريضةٌ على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة].

الهجرةُ فريضة أي - واجبة - على أمّة محمّدٍ صلى الله عليه وسلم، من بلد الشركِ إلى بلد الإسلام.

<u>وبلد الشرك</u> الذي يجبُ على العبد أن يُهاجر منه وأن يتركه **هو الذي تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام من أذانٍ وصلاة جمعةٍ وجماعة وأعيادٍ على وجه عام شامل**، وهذا قيد مُهم؛ قيدنا ذلك : على وجه عام شامل، ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور، لأنَّ بعض بلاد الكفار فيها أقليات مُسلمة، هذه الأقليات رُبَّما تقيم بعض الشعائر لكن على وجه محصور ليس عامًا شاملا؛ فإنّ مثل هذه البلاد لا تكون بلاد إسلام بما تقيمهُ هذه الأقليات المسلمة من شعائر الإسلام.

وموطنُ الإنسان التي يستوطنها هي البلاد التي يتمَّكنُ من إظهار دينه فيها؛ فكلُّ من لم يكن قادرًا على إظهار دينه في وطن منَ الأوطان وكان قادرا على الهجرة إلى وطن يستطيع إظهار دينه فيه فإنّ الهجرة في حقِّهِ واجبة.

ومن استطاع إظهار دينه في بلد الشرك؛ أُسْتُحِبُّ له أن يهاجر، وهذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي -رحمه الله- وغيره من أهل العلم.

وعلى هذا يمكن أن نقول بأنّ :

الهجرة تنقسم إلى قسمين :-

- **(هجرة عامَّة):** هذه التي ذُكرت وذكرها المؤلف بقوله: [الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام]؛ أي: أيُّ بلدٍ، فهو بلد غير مخصوص، أيّ بلد من بلدان الشرك **وهذه تكون إمَّا:**

- **واجبة** لِمَن لم يكن قادرا على إظهار دينه فيها؛ وكان قادرًا على الهجرة، هذه تكون واجبة في حقه.

-وقد تكون **مُستحبةً** : لمن كان قادرا على إظهار دينه في بلد الشرك.

هذه الهجرة بمفهومها العام هي التي لا تَنقطع حتى تنقطع التوبة، أي: هي باقية إلى قيام الساعة.

وأمّا القسم الثاني من أقسام الهجرة فهي :

- (الهجرة الخاصَّة) وهي الهجرة من مكة إلى المدينة؛ وهذه كانت واجبةً لمّا كانت مكة دارَ شركٍ زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتركها النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بالهجرة منها، هذه الهجرة الخاصة هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا هجرةَ بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيَّة وإذا اسْتُنفرتم فانفروا) هذا الحديث متفق عليه، أي: لا هجرةَ بعد فتح مكَّة لأنّها صارت دار إسلام.

ثم قال - رحمه الله تعالى -:

[والدليل قوله تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}.]

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَة) : أي ملكُ الموت وأعوانه .

(ظَالِمِي أَنْفُسِهِم) : حالَ كونهم ظالمينَ لأنفسهم.

(قَالُوا فِيْمَ كُنْتُم) : أي: قال لهم الملائكةُ على سبيلِ التُّوبيخ والإنكار في أي الفريقين كنتم؟

(قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرضِ) : الاستضعافُ هنا هو عدمُ القدرة على إظهار الدين.

(قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) وهذا دليلٌ على أنَّ مَن لم يكن قادرًا على إظهارِ دينه وكان مستضعفًا في بلدِ الكفر والشرك وكان قادرًا على الهجرة؛ وجبت عليه الهجرة إذا قَدِر عليها، فإنَّ الملائكةَ تُوَبِّخهم حالَ قبضَ أرواحهم وتقولُ لهم: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟ ثُمَّ تَوَّعَدهم الله عز وجل بقولهِ: {فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } تَوّعدهُم اللهُ بالنَارِ كما تَوّعَدَ أهل الكبائر.

ثُمَّ استثنى الله طائفة بقوله: **{ إِلَا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ }** وهؤلاءِ الذين عَذرهُم اللهُ عزَّ وجل من الهجرة، وهم المُستَضْعَفُون، والله سبحانه وتعالى عَذَرهُم لأنَّهم لا يستطيعونَ حِيلة، فليسَ لهم حيلة والتي هي حسن تَصّرف .

(ولا يهتدونُ سبيلا) : أي لا يعرفون الطريق إلى بلد الإسلام .

(فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا) : أي أولئكَ الذين يَعفُو الله عنهم لا محالة.

ووجهِ الدلالةِ من هذه الآية على وجوبِ الهجرة ظاهر وذلك بالتَّوعد بالنَّار لمن تَخَلَّفَ عن الهجرة، فإنّه تركَ واجبًا عظيمًا، وهو مُرتكبٌ لكبيرةٍ من كبائرِ الذنوب.

قالَ - رحمهُ الله -:

[وقولهُ تعالى :{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}].

(يا عِبادي الَّذين آمنُوا) : فإذا كنتم مؤمنين حقًا، فإنّ مُقتضى الإيمانِ هو الهِجرة حتى يَتحققَّ الدين.

(إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدونِ) : أي : وحدوني في أرضي الواسعة.

في هذهِ الآية أمرٌ بالهجرةِ في أرض الله الواسعة، وهذا دليلٌ على وجوبها من بلاد الشركِ إلى بلاد الأسلام، فإذا لم تكن قادرًا على إظهارِ دينكَ في أرض فانتقل منها واتركها إلى غيرها.

قال -رحمه الله -:

[قَالَ البغويُّ رحمهُ الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكةَ لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان] .

[البغويُّ] : هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، صاحب التفسير وشرح السّنة وغيرهما، المُتوفى سنة خمسمئة وستُّ عشرة.

حكى هذا القول عن جماعة من التابعين، فأفادَ أنَّ تارك الهجرة بعد أن وجبت عليه ليس بكافر لكن هو عاصٍ بتركها؛ فهو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، عاصٍ من عُصاة المُوَحّدين المُؤمنين الذين توَّعدهم الله بالنار، كما تَوُّعد أهل الكبائر.

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله -:

[والدليلُ على الهجرةِ من السُّنة قوله صلى الله عليه وسلم: لَا تَنقطعُ الهجرة حتَّى تنقطعَ التَّوبة، ولا تنقطعُ التَّوبةُ حتَّى تَطلع الشمسِ مِن مَغربها].

هذا الحديث أخرجهُ أبو داود وأحمد من حديث معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد صَحّحهُ الشيخ الألباني رحمهُ الله في الإرواء.

(لا تنقطعُ الهجرةُ) : أي: لا يسقطُ وجوبِ الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام إلّا بانقطاع التوبة؛ ووقت انقطاع التوبة هو طلوعِ الشَّمس من مغربها وهذا يوم القيامة. قال الله تعالى: { يومَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا } ، وهذا حَدٌّ عامٌ للتوبة؛ وللتوبة حَدٌّ وزمنٌ خاص وهو الغَرغرة، فإذا حضرَ العبدَ الموتُ فإنَّه لا تنفعهُ توبة، فالهجرةُ لا تنقطعُ كما قَدَّمنا، فهي باقيةٌ في هذه الأمة إلى قيامِ السَّاعة.

ثم قال - رحمهُ الله -:

[فَلَمَّا اسْتقرَّ بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزَّكَاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرِ ذلك من شرائعِ الإسلام] .

الصلاة فُرِضَت في مكّة ليلة المعراج وقد مَرَّ معنا ذلك، وكانَ ذلك قبلَ الهجرة بثلاث سنين.

أمّا **الزَّكاة** : قال أهل العلم أنَّ أصلُ الزكاة فُرِضَتْ في مكة بدليل ذِكْر وُجوبها في آياتٍ مكيَّةٍ كثيرة؛ لكن تفصيلَ أحكامها هو الذي فُرِضَ في المدينةِ في العام الثاني، وتفصيلها أي: أَنْصِبتها وَمصارفُها.

أمّا **الصِّيام** فإنّه فُرِض في السنَّة الثانية للهجرة.

وأمّا **الحَجُّ** فقد فُرِضَ في السنّة التاسعة على الصحيح.

وغير ذلك من الشرائع كلّها فرضت في المدينة؛ كالأذانِ وصلاة الجمعة، والجماعةِ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغير ذلك، وهذا يُفيدنا فائدة عظيمة وهي بيان عظيم قدر التَّوحيد، فقد بدأ بهِ النَّبي صلى الله عليه وسلم دعوته، ودعا إليه وحدهُ عشرَ سنين، واستمَّر يدعو إليه بقية دعوتهِ وحياتهِ، يدعو قومَهُ إلى: لَا إله إلَّا الله، وكذلك لما بَعثَ مُعاذاً إلى اليمنِ قال له: (إنَّكَ

تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لَا إِلٰه إِلّا الله) ، وهذا منهج جميع الرسل والأنبياء؛ فأولُّ ما يبدؤونَ بهِ التَّوحيد وقد تَقَدَّم مثلُ هذا الكلام كثيرًا.

قال - رحمهُ الله -:

[أَخذَ على هذا عشر سنين وبعدها تُوفي صلاة الله وسلامهُ عليه ودينه باق] .

بَقيَ صلى الله عليه وسلم عشر سنين في المدينة، والشريعةُ تتنزلُ بالتدريج حتى تكاملت والحمدُ لله، وأنزل الله قوله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.

ثُمَ بَدَأهُ المرض صلَّى الله عليه وسلم في آخرِ صفرٍ وأولَّ ربيعٍ الأول، وأَمَر أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يُصلِّيَ بالناس؛ فَلَّما كانَ اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر من ربيعٍ الأول من العام الحادي عشر تُوفِّي صلى الله عليه وسلم.

وكانتَ موتهُ صلَّى الله عليه وسلم أعظمَ المصائبِ على الإطلاق، وأَثَّرَ ذٰلكَ في الصحابة رضي الله عنهم تأثيرًا بالغًا، حتَّى إنَّ بعض الصحابة لم يُصَدِّق بموتهُ صلَّى الله عليه وسلم، ومنهم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفةُ الراشد، حتى جاء الصِّدِّيق أبا بكر رضي الله عنه وكان رجلاً مُسَدّدًا مُوفقًا ثابتًا في مواطن الأزمات والكروب، فدخلَ على النبي صلى الله عليه وسلم وقبَّله وقال قَولتهُ التَّي حَفظتها وثائق التاريخ: **(طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا)** وخرجَ إلى النَّاس وهم مُضطربونَ وقال: (أَيُّها الناس مَن كانَ يَعبدُ مُحمَّدًا فإنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَات، وَمن كانَ يَعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَموت)، وهذا أخرجه البخاري، فحينها أَيْقَنَ الصَّحابة بوفاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ودينهُ صلى الله عليه وسلم باقٍ إلى يوم القيامة.

قال - رحمه الله -:

[وهذا دينهُ لا خيرَ إلا دَلَّ الأُمَّة عليهِ ولا شَرَّ إلّا حَذَّرها منه].

قال أبو ذر - رضي الله عنه -: (لقد تُوفيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مِنْ طائرٍ يُقَلِّبُ جناحيهِ في الهواءِ إلَّا ذَكِرلنا منهِ علمًا) أخرجه أحمد.

وفي صحيح مسلمٍ قيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: **عَلَّمكم نبيكم كلّ شيء حتى الخَراءة** ! قال سلمان: (أجل لقد نهانا أَنْ نستقبلَ القبلة بغائطٍ أو بول، أو نستنجيَ باليمين، أو أن نستنجيُ بأقلّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيعٍ أو عظمٍ) وهذان الحديثان يدلان على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ لنا كلّ شيء.

ثم قالَ - رحمهُ الله -:

[والخير الذي دلهَا عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهِهِ الله وَيأْباه].

أعظمُ الخير على الإطلاق التُّوحيد، وأعظمُ الشَّرِ الذي نهى عنه الشرك على الإطلاق وقد تَقَدَّم بيان ذلك.

ويدلّ على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (أنّهُ لَمْ يَكُنْ نبيٌ قبلي إلّا كان حقًا أن يدلّ أمتهُ على خيرِ مُا يعلمهُ لَهم وَينذرهم شَرّ ما يعلمهُ لهم) رواه مسلم، وكذلك قول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }.

قالَ - رحمهُ الله -:

بَعثهُ اللهُ إلى النَّاسِ كافُّة وافترض طاعته على الثقلين الجنّ والأنس، والدليل قوله تعالى :{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا }] .

طاعتهُ صلَّى الله عليه وسلم واجبة، وهي طاعةٌ لله تعالى، قال الله تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}، وقالَ تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُم}، وقالَ تعالى: {وَمَا آتَاكُمْ الرَّسولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهِ فَانْتَهُوا}.

وفي الآيةِ التي اسْتَدَّلَ بها الشيخُ - رحمهُ الله - دليلٌ على عمومِ شريعةِ النبَّي صلى الله عليه وسلم، الذي أشارَ إليه - رحمه الله - بقولِهِ بعثهُ الله إلى الناس كَافَّة. قالَ اللهُ تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}، وقالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلّا كَافَّةً لِلنّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}، وقالَ تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانُ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}.

وَمِنَ السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (أُعْطيتُ خمسًا لَم يُعْطِهن أحدٌ من الأنبياء قبلي، ومن هذه الخمس وكانَ النَّبي يُبعث إلى قومهِ خاصَّة وبُعثتُ إلى النَّاس كافَّة)، وهذا أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه، فالواجبُ على الجميع من يهودٍ ونصارى ومجوسٍ وغيرهم اتّباع دين محمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (والّذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّة يهودي ولا نصراني ثُمَّ يموتُ ولم يؤمنُ بالذي أُرْسلتُ به إلّا كانَ من أصحابِ النّار) رواه مسلم.

قال الله تعالى :{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ }، فمنْ أطاعهُ دخلَ الجنُّة، ومنْ عصاهُ دخلَ النُّار.

قال الله تعالى:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وُهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينُ}.

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله-:

[وَأكْمَلَ الله به الدِّين والدليلُ قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإسْلَامَ دِينًا }].

فدينُ الله كامل؛ والكاملُ لا يقبلَ أنْ نزيدَ فيهِ، وَكلُّ مَن زاد في الدّين كانت زيادته مُحدثة بِدعة، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أمرنا هٰذا مَا ليسَ منهِ فَهو رَدّ) متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: (وَكلُّ مُحدثة بِدعة وَكلُّ بدعةٍ ضَلالة وَكلُّ ضَلالة في النَّار)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تَبْتَدعوا فَقد كُفِيتُم)، فهذا الدِّين صالحٌ لكلِّ زمان ومكان، وهو شاملٌ لمصالح العباد كُلِّهم إلى يوم القيامة؛ فلا حاجةَ للزيادةِ فيه؛ فإنّ هذا استدراكٌ على الله سبحانه وتعالى، قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَقد تركتكم على مثلِ البيضاء ليلُها ونهارُها سواء)، قالَ أبو الدرداء رضي الله عنه: (صَدَقَ واللهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، تركنا واللهِ على مثل البيضاء ليلُها ونهارها سواء).

أمّا الآيةُ التي استدَّل بها الشيخ -رحمه الله- على إكمال الله لنا الدين فهي قول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا} نزلت هذه الآية والنبيُّ صلى

الله عليه وسلم واقفٌ بعرفة في حجة الوداع، في يوم الجُمُعة، قبلَ موتِ النبي صلى الله عليه وسلم بأشهرٍ قليلة.

ثم قال - رحمه الله -:

[والدليلِ على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}]

لَمَّا أكملَ اللهُ الدِّين، وأَتَّم النعمة بالنبي صلى الله عليه وسلم توفاهُ الله إليه بعدما خَيَّره ملك الموت بين الحياة والموت، فكان آخرَ ما قال صلى الله عليه وسلم: (اللّهُمَّ الرفيقُ الأُعلى).

قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتُّ فَهِمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبلُوكُم بِالشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، وَهو صلى الله عليه وسلم داخلٌ في هذا العموم، وقالَ تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنَّ قَبْلِهِ الرُّسلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}، وقالَ تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم ومن أُرْسِلَ إليهم مَّيّتون، وإنَّهم سيختصمونَ يومَ القيامةِ فيحكمُ بينهم بالحق، ولن يجعل الله للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلا.

فنسألُ الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أتباعه صِدقًا وحقاً؛ ويُدخلنا معه جَنَّة الفردوس برحمتهِ وفضله.

إلى هُنا انتهى الشيخ - رحمه الله - من بيان الأصل الثالث المُتعَلق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

بَقِيَ آخر درس سيكون في الخاتمة التي ختمَ بها الشيخ - رحمهُ الله - هذه الرِّسالةَ المُباركة التي نفعَ اللهُ بِها خلقًا كثيرًا.

<u>**وسبحانكَ اللَّهم وبحمدك أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنتَ أستغفركَ وأتوبُ إليك.**</u>

معهد الدين القيم

بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (12)

التاريخ : الخميس 9 - 6 - 1440 هـ

تفريغ الدرس الثاني عشر والأخير من دروس شرح الأصول الثلاث

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأُصلّي وأُسلّم على المبعوثِ رحمةً للعالمين، أمّا بعد:

فهذا المجلسُ الثاني عشر من مجالسِ شرحِ الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهّاب - رحمهُ الله -؛ وهو آخرُ درسٍ في هذه السلسلة التي نسألُ الله أن ينفعَ بها كما نفع بأَصلها، وأن يرزقنا جميعًا الإخلاص في القولَ والعمل وأن يرزقنا الفِقهَ في الدِّين والبصيرة واليقين، إنَّ ربّي سميع قريبٌ مجيبٌ دعوة الداع إذا دعاه.

بعدَ أن فَرغَ المُصنّف -رحمه الله - من بيان الأصول الثلاثة بدأَ بذكرِ بعض الأمور المُتعلقة بالعقيدة، تكونُ كالخاتمةِ لهذه الرسالة.

قالَ - رحمه الله -:

[والنّاسُ إذا ماتوا يُبعثون، والدليل قولهُ تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ}، وقولهُ تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}.

ابتدأ المؤلف - رحمهُ الله - الخاتمة بمسألةِ الإيمانِ بالبعثِ بعد الموت، فإنَّ كلّ النّاسِ مُسلمين وكفَّار يُؤمنون بالموتِ لأنّه حقٌّ مُشاهَد؛ لكنَّ الشأنَ كُلَّه في البعث بعد الموت، وهذا هو الفرق بين المسلمين والكفَّار، إعادة الأجسام التي تفتّتت وصارت تُرابًا وتفرقت في الأرض إلى ما كانت عليه؛ فإنَّ الذي خلقها أول مرة من العَدم قادرٌ على جمعها وإعادة بعثها، ثم تُنفخ فيها الأرواح وتَسيرُ إلى أرضِ المَحْشَر، قال الله تعالى: { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ } والأجداثُ هي القُبور، وقال تعالى: { خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ }.

فَهذا البعثُ حقٌّ لا شَكَّ فيه؛ والإيمان به واجب، ولا يتخلفُ عنه أحد، وهو ركنٌ من أركانِ الإيمان الستَّة التي مَرَّت معنا وهي: **[الإيمانُ باللهِ وملائكتهِ وكُتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِوالقدرِ خيرهِ وشَرّه]**، وقد فَصَّلنا القول فيها بحمدِ الله وتوفيقه.

استدَّل المُؤلف - رحمهُ الله - على أنّ النَّاس إذا ماتوا يُبْعَثون بقولهِ تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ }.

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ) : الخطابُ في الآية موجهُ للأمَّةِ جميعا، والضمير في قوله: منها، يعودُ إلى الأرض، فالمعنى: من الأرض مبدؤكُم، وذلك لأنَّ أبيكم آدم خُلِقَ من تُراب؛ في الحديث عن أبي موسى الأشعريّ - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله خَلقَ آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمرُ والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحَزن والخبيثُ والطَيِّب).

(وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) : أي نُعيدكم في الأرض، وذلكَ بالدفنِ في القبورِ بعدَ الموت.

(وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ) : هذا الإخراجُ من الأرض بالبعثِ يوم القيامة للجزاء على العمل.

واستدَّلَ المؤلف رحمه الله تعالى كذلك بقوله: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}.

(وَاللهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) : حِينما خَلقَ آدم من الأرض، وذريتهُ مِنهُ عليه السلام.

(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) : بالدَّفنِ بعدَ الموت.

(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) : وهو البعثُ من القبور.

وهذهِ الآيةُ مُطابقة لِمَا قبلها تمامًا، والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، منها قول الله تعالى: { قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ }.

- ومن الأدلّة العقليةِ منَ القُرآن قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

- ومِنَ الأدلّةِ كَذلكَ ما يحصلُ للأرضِ من الحياةِ بعدَ الموت، قالَ اللهُ تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

- وَمِنَ الأدلّةِ كذلك أنّه لو لم يكن بعثٌ للزمَ أن يكونَ خَلْق الإنسان عبثا؛ فاقتضت حكمة اللهِ أن يُجازي المُؤمنين ويُعاقبَ الكافرين ، قال الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }، وقالَ تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ }.

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله -:

[وبعدَ البعثِ مُحاسبونَ وَمَجْزيون بأعمالهم، والدَّليل قولهُ تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى }.

معنى ذلكَ أنَّ النَّاسَ بعدَ البعثِ مَجزيونَ ومُحاسبون بسبب أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فَشَرّ .

(ولِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) : فالله سبحانه وتعالى لهُ ما في السَّماوات وما في الارض خلقًا وَمُلكًا وتدبيرًا.

(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلوا) : لَم يَذْكر نوعَ العذابِ في الآية للمُبالغة في الدَّلالة على شِدَتهِ.

(وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) : هُنا ذَكَر نوع الثواب؛ فإنَّ الحُسنى التي يجزي الله بها الذين أحْسَنوا هي الجنَّة.

فالكلُّ مُجازى على عملِه، وهذا يَحثُّ العبد على عمل الخيرات التي يُثَقّلُ بها موازينهُ يوم القيامة، ويفوزُ بالجنَّةِ وينجو من النَّار، قال الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

وَحسابُ المُسلمين يومَ القيامة على أقسام:

- فَمنهم مَنْ لا يُحاسَب : وهؤلاءِ يَدخلونَ الجنَّة بلا حِسابٍ ولا عذاب؛ يدخلونَ الجنَّةَ مُباشرة، دليلُ ذلك حديث: (السبعين ألفًا الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يَتَطَيَّرون ولا يَكْتَوون وَعلى رَّبِهم يتَّوكلونَ)، والحديث عند البخاري ومسلم.

- ومِنهم من يُحاسب حسابًا يسيرًا : وهؤلاءِ يُحاسَبون حِسابَ عرضٍ لا مُناقشة، قال الله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا }.

- وَمِنهُم من يُحاسَب وَيُناقش الحساب : وهذا على خطر، لقولهِ صلَّى الله عليه وسلم: (مَنْ نُوقِشَ الْحساب عُذِّب) متفقٌ عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

أمّا الكفَّار فقد اختلفَ أهْلُ العلم فيهم، هل يُحاسبون أم لا.

ثم تُوزن أعمال العبادِ بالميزان؛ والميزانُ ميزانٌ حقيقي له كِفَّتان، تُوْضَعُ الحَسناتِ في كِفَّة والسَّيئاتِ في كِفَّة، قال الله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِين خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ }، فَمنْ رجحت حَسناتُه سيئاتِه فهو من المُفلحين، ومن رجحت سيئاتُه بحسناتِه

فقد خابَ وخَسر، نسأل الله السَّلامة والعَافية.

ثم قال - رحمه الله -:

[ومن كذَّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}].

من يُكَّذِب بالبعثِ بعدَ الموت فهو كافر؛ لأنّه أنكر ركنًا من أركانِ الإيمان الستَّة السابقةِ الذِكْر، ولأنّه مُكَذِب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومُكذب لإجماع المُسلمين، والشيخ رحمه الله استدل بآية التَّغَابُن، قال الله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنُّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، وفي الآيةِ دليلٌ على المسألةِ الأولى المُتقدمة، مسألة **(البَعْث)**، والمَسألة الثانية مسألة (الحساب والجزاء على الأعمال).

قوله تعالى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا): زَعَمَ، أي: اعتقد، وتُستعملُ في الغالب للإعتقادات الباطلة.

(أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا) أَي: زعموا أن لن يَحييوا بعد أن يموتوا.

(قُلْ): الخطاب للنّبي صلى الله عليه وسلم.

(قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُم): في الآية أمرٌ من الله سبحانهُ وتعالى لنبيهِ صلَّى الله عليه وسلم أن يُقْسِم به على البعث، وجاء هذا القسم مؤكدٌ بمؤكدات وهي: أسلوب القسم، واللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد، (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ)، ثُمَّ الجزاء على العمل بعدَ هذا البعث في قوله تعالى: (ثُمَّ لَتُنبَؤُنَّ بِمَا عَمِلتُم) .

ثُمَّ قال: (وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ) أي: سهلٌ وَهَيّنٌ عليه سبحانه وتعالى، قال في آية أخرى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}.

<u>**ووجهُ دلالةُ الآية**</u> : أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر الذين يَزعمون أنَّهم لن يبعثوا ووصفهم (بالكفر)؛ ووصفُهم بالكُفر جعلنا نحكم على من كَذَّب بالبعث بالكُفر.

وكانَ المشركونَ زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبلَ زمنِ النبي صلى الله عليه وسلم يُجادِلون بهذه المسألة (مسألة البعث بعد الموت)، فمن أقوالهم الفاجرة الظَّالمة التي أخبرنا الله بها، قالَ اللهُ تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}، فردَّ الله باطلهم بقوله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }، ومن أقوالهم: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وقال تعالى: { وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِم قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرون}، وقال تعالى في سورة المُطففين: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَومِ الدِّين وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلِّ مُعْتَدٍ أَثِيم إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبون كَلَّا إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يومَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُم لَصَالُوا الْجَحِيم ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ}، وقالَ تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا } .

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله -:

[وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسل مُبَشِّرين ومُنذرين، والدليلُ قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}].

الإيمانُ بالرُّسلِ أحدُ أركان الإيمان الستَّة، وقد سبقَ أن فصَّلنا القول فيه، وفي هذه الآية التي استدلَّ بها الشيخ - رحمه الله - بيان وظيفة المرسلين وهي:

-البَشارةِ لأتباعهم الذين آمنوا برسالاتهم واستجابوا لدعوتهِم، يبشّرونَهم بالجنّة.

- النَّذارةُ لأعداءِ الله وأعداءِ رسله وأعداءِ عباد الله المُوَحدين، فإنّهم ينذرونهم النَّار.

- إقَامة الحُجّة على من بلغتهُ المحجَّة.

البَشارة والنَّذارة في قولهِ تعالى في الآية: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)، وأمَّا إقَامة الحجّة ففي قوله تعالى: (لِئَلا يكونِ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجّة بَعدَ الرُّسلِ).

والرُّسلُ : جمعُ رسول، **وهو من أُوحي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه**، وأعَظمُ ما دعا إليه الرُّسل من أولِهم إلى آخرهِم (التَّوحيد)، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وَقالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

ثُمَّ قالَ - رحمهُ الله -:

[وَأَوَّلُهُم نوحٌ عليهِ السَّلام وآخرهُم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وهو خَاتم النبيّين ، والدليل على أنّ أوّلهم نوح عليه السلام قوله تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ }].

كان النَّاسُ على التوحيد وعلى عبادة الله سبحانه وتعالى منذُ أن أهْبط الله آدم وحواء إلى الأرض إلى عشرة قرون، فَلمَّا كانَ قوم نوح كان فيهم رجالٌ صالحون، فلمَّا ماتَ هؤلاء الصالحون حَزنوا عَليهم حُزنًا شديدًا، فانتهز الشيطان الفُرصة وأوحى إليهم أنْ صَوِّروا صُوَر هٰؤلاء الصَّالحين وانصبوها على مَجالسكم، فإذا رأيتموهم تتذكرونَ أَحوالهم، وتنشطونَ في العبادة، وفعلوا ولم تُعْبَد في أولّ الأمر حتى ذهب ذلك الجيل وخَلفَهُم جيلٌ آخر؛ وقد مات علماؤهم جاء إليهم الشيطان مرة أخرى وقال لهم: إنّ آبائكم ما نَصبوا هذه الصُّور إلّا لعبادتها، وبها كانوا يُسْقَوْنَ المَطر، وَزَّين لهم عبادتها من دون اللهِ فعبدوها.

فهذا أولُ شركٌ حدثَ في الأرض، فبعثَ الله عز وجل نوحًا عليه السلام يَدعوهم إلى اللهِ سبحانه وتعالى، ويُبيِّنُ لهم أنّ هذا شرك، وَيَردّهم إلى التَّوحيد الذي هو دين أبيهم آدمَ عليه السلام، لكنَّهم عاندوا واسَتكبروا، قال الله تعالى: { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } .

قال ابنُ عباسٍ - رضيَ الله عنه - هذهِ أسماءِ رجالٍ صالحين صوروا صورهم ونصبوها على مجالسهم فَآلَ بِهِم الأمر إلى أن عبدوها من دون الله، قالَ هٰؤلاء المشركون: لا تتركوا آلهتكم ولا تتركوا عبادة هؤلاء الصالحين؛ فمن هنا تعلم سببَ تغليظ النَّبي صلى الله عليه وسلم في التحذيرِ من التَّصوير، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أشدَّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ المُصَورون) متفقٌ عليه، وقال صلى الله عليه

وسلم: (إنَّ الذين يَصنعونَ هذه الصّور يعذبون يوم القيامة يُقالُ لهم: أَحيُوا ما خلقتم) متفقٌ عليه، فيُؤمرون بنفخِ الرّوح في هذه الصور من باب التعجيزِ لهم، واستحقّوا هذا الوعيد لأنّ التصوير وسيلةٌ من وسائلِ الشرك كما حصلَ مع قومِ نوحٍ عليه السلام.

فأولُّ رسول في هذه الارض هو نوح عليه الصلاة والسلام بدليل قول الله تعالى: { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ }.

(إنَّا أَوْحَينا إليكَ) : الخطابُ للنَّبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

(كَمَا أَوْحَيْنا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنبِيّينَ مِنْ بَعْدِهِ) : النَّبيون من بعده، فلا نبيّ قبله، وَيدلُّ على ذلك حديث الشفاعة في الصحيحين: (فإنّ الناس يأتونَ إلى نوحٍ فيقولونَ له: أنتَ أولُّ رسول أرسلهُ الله إلى أهلِ الأرض).

وآخر الرسل مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)، قال صلَّى الله عليه وسلم: (أَنا خَاتَمُ النبيين لا نبيَّ بعدي) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ثوبان، فلا نبيَّ بعده، ومن أدَّعى النُّبوة بعده فهو كاذب كافر؛ ومن صَدَّقهُ فهو كافر مثله، وقد ادعاها بعده خلق كثير آخرهم غلام أحمد القادياني الهندي.

ثم قال -رحمه الله -:

[وكلُّ أُمَّة بَعثَ الله إليها رسولًا من نوحٍ إلى مُحَمَّدٍ يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: { وَلَقَدَّ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبوا الطَّاغُوتِ }].

كلُّ أُمَّة من النَّاس بعث الله إليها رسولاً ليُقيمَ عليهم الحجة، ورحمةً بهم كي لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال الله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا }، وَقالَ تعالى: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ }، ودعوةُ الرُّسل من أَولِهم إلى آخرهِم هي دعوة النَّاس إلى توحيدِ الله سبحانه وتعالى، وتحذيرهم من الشِّركِ بالله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت }.

(اجْتَنِبُوا الطَاغوتَ) : اجتبنوا عِبادة الأوثان والأصنام والقبور وغيرها؛ وفي الآية تفسير لِلَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهَ كما مَرَّ معنا، ففيها الأمرُ بعبادة الله وَحده، وعدمِ الإشراكِ

به غيره، فيها النَّفي والإثبات، وقال لله تعالى كذلك: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، فأَصلُ دعوةُ الرُّسلِ جميعًا دعوة النَّاس إلى توحيدِ الله ربّ العالمين ونهيهم عن الشرك، ثم تأتي بعدَ ذلك الشرائع مِنْ حلالٍ وحرام.

ثُمَّ قال بعد ذلك - رحمهُ الله -:

[و افْتَرَضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكُفر بالطَّاغوت والإيمان بالله].

أي أنّ التوحيد لا يتحققُ إلّا بالإيمانِ بالله وحده لا شريكَ له، واجتناب الطاغوت، وهذا معنى لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله، فإنّها لا تَتحققُ إلا بُركْنَيها معا: (النَّفي والإثبات)؛ وقد ذَكرَ الله عز وجل وجوب الإيمان به والكفر بالطاغوت في آيات كثيرة منها قوله تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، وقالَ تعالى مخبرًا عن حال اليهود: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا }، وقالَ تعالى عن المُنافقين: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا }، هذهِ الآيات تَقُودنا إلى القول: ما هو الطاغوت لكي نجتنبهُ ؟

قالَ -رحمه الله-:

[قَالَ ابنُ القَيِّم -رحمهُ الله تعالى- الطاغوتَ: ما تجاوزَ بهِ العبدُ حَدَّهُ من مَعْبودٍ أو مَتْبوعٍ أو مُطَاعٍ].

ابنُ القَيِّم: هو الإمام مُحمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعيّ الدمشقيّ، المعروف بابن القِيم الجوزية، صاحب التصانيف المشهورة، تلميذُ شيخ الإسلام إبن تيميَّة - رحمه الله - المُتوفى سنةَ سبعمئة وإحدى وخمسين.

(الطَّاغوتُ) : مَأخوذٌ من الطُغْيان.

<u>والطاغوت</u> في *اللغة*: **هو مُجاوزة الحدّ**، ومنه قولهُ تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ }، أي: لَمَّا زادَ الماءُ عن حدّهِ حَملناكُم في السّفينة.

وأمَّا في اصطلاح العلماء فأحسن ما قِيل في تعريفه ما ذكرهُ ابن القَيّم -رحمه الله- وهو الذي نقلهُ الشيخ

محمد بن عبد الوهّاب -رحمه الله- هنا، قال ابن القَيّم في تعريفه: **ما تجاوزَ به العبدُ حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.**

المعبودُ: سواء كان شجرًا أَو حجرًا أَو وليًا أَو عالمًا ولكن بشرط أن يكون راضيًا بعبادة النّاس له، أو يدعو الناس إلى عبادة نفسه.

وأمّا **المتبوع**: فإنّ الواجبَ إتّباع النّبي صلى الله عليه وسلم، فمن اتَّبع عُلماء السُّوء في تحريم الحلال وتحليل الحرام فإنّه طاغوتٌ جاوزَ حَدَّه.

وأما **المُطاعُ**: فالواجبُ طاعة الله وطاعة رسولهِ صلَّى الله عليه وسلم، وطاعة ولاة الأمر في طاعة اللهِ ورسولهِ، فإذا أمَرُوا بمعصية فلا سَمْعَ ولا طَاعة ولا ننزع يداً من طاعة، فمن أطاعهم في تحليلِ الحرام وتحريمِ الحلال فإنّه مجاوزٌ للحدِّ وهو طاغوت.

قالَ ابنُ القَيّم - رحمه الله -: **فإذا تَأملّتَ طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة (المَعبود والمَتبوع والمُطاع).**

ثم قال - رحمه الله -: **[والطَّواغيتُ كثيرون وَرؤسُهُم خمسة : إِبليسُ لعنهُ الله، وَمَن عُبِد وهو راض، ومن دَعا الناس إلى عبادة نفسه، وَمَن ادَّعى شيئا من عِلم الغيب، وَمنْ حَكَم بغير ما أنزلَ الله].**

(الطَّواغيتُ): جَمعُ طاغوت وقد تَقَدَّم تعريفه، هؤلاء الطَّواغيت الذين ينطبق عليهم تعريف الطّاغوت المُتقدِّم، ما تجاوزَ به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مُطاع

كثيرون لكنَّ رُؤوسهم وأكابرهُم وزعمائهم خمسة وهم :

(إبليس): اللَّعِين المَطرود من رحمةِ أرحم الراحمين، وإبليس هو الشيطان الرجيم، رأس الكفر ومصدرُ الشَّر، الذي قال الله تعالى فيه: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}، هذا هو رأسُ الطواغيت الأكبر نعوذُ بالله منه.

(من عُبِدَ وهو راضٍ): أي من عبدهُ الناس وهو راضٍ بفعلهم وبعبادتهم له؛ هذا من رؤوس الطَّواغيت. أمّا من عُبد وهو غير راضٍ بذلك فلا يدخلُ في هذا؛ ولا يدخلُ في ذلك عِيسى عليه السلام فإنّه عُبِد من

دون الله ولا يزال يُعْبَدُ، لكنَّه عليهِ السَّلام غير راضٍ بعبادتهم، قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهَ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ اَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ } .

ولا يَدْخلُ في ذلكَ عليٌّ - رضي الله عنه - الخليفة الراشد فإنّه لمّا قال له من قال: أنت هُو، قال: مَنْ هُو، قالوا: أنتَ الله، فإنّه رضي الله عنه خدَّ لهم الأخاديد وأحْرَقَهُم بالنَّارِ ولم يرضَ بصنيعهِم، فإنَّه رضيَ الله عنه عُبِدَ ولا زالت تعبدهُ الرافضة؛ ولكنّه رضيَ الله عنه غيرُ راضٍ بعبادتهم، وما صَنيعهُ بِهم إلَّا دليلٌ على غير رضاه، قال عليٌّ - رضي الله عنه -:

لمّا رأيتِ الأمر أمرًا منكرًا *** أجَّجتُ ناري ودعوتُ قمبرا

وقمبرا: هذا خادم لعليٍّ - رضي الله عنه - .

من دعا الناس إلى عبادة نفسه: مثالُ ذلك فرعون الذي قال: (فقال أَنَا رَبُّكم الأَعْلَى)، ومثلُ غُلاة الصوفية فإنّهم يَدعُون الناس إلى عبادة أنفسهم عياذا بالله، وهؤلاء من رؤوس الطواغيت، وسواء أُجِيبُوا أمْ لَمْ يُجَابوا في عبادتهم.

(من ادَّعى شيئًا من علمِ الغيب) : وهذا يدخلُ فيه السحرة والمُنجمون، والكُهَان وأضرابهم، فكلّ من ادَّعى شيئا من علم الغيب، كلّ من يقول للناس سيحصل لكم كذا وكذا من باب معرفة الغيب فإنّه طاغوت.

والغيب : هو ما غاب عن الإنسان ، وهو نوعان:

غيب و اقع: **وهذا يكون غيبٌ لشخصٍ لكنّه معلوم لآخر؛** فما يحدث في مكان آخر بعيد عنك هذا غيبٌ بالنسبة لك، لكن من هو في عين هذا المكان لا يكون غيبًا بالنسبة له.

غيبُ مُسْتقبل: **هذا لا يكونُ مَعلوماً لأحد إلّا الله وحده، أو من أطْلَعهُ الله عليه من الرُّسل،** فمن ادَّعى علم الغيب المستقبل فهو كافر مُكذب لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: { قُلْ لَا يَعْلَمُ مُنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا الله وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون) .

ونقولُ لهؤلاء الصُّوفيَّة والسَّحرة والمشعوذين كيفَ يُمكن أن تَعلموا الغيب والنَّبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمُ الغيب، هل أنتم أَشرف أم الرسول صلَّى الله عليه وسلم؟ فإن قالوا: نحنُ أشرفُ من الرسول كفروا بهذا القول، وأنَّى لهم أنْ يقولوا هذا !، وإن قالوا: الرسول أشرفُ فنقولُ لهم: لماذا لا يعلمُ هُوَ الغيب وتعلمونه؟

قال الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، وقد أمَر الله نبيه أن يقولُ للملأ: { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ }.

(من حَكَمَ بغير ما أنزلَ الله) : الحكمُ بما أنزلَ الله في كتابه أو في سُنّة نبيه صلى الله عليه وسلم أمره عظيم؛ وهو من توحيد الرّبوبية، فإنّه تطبيقٌ لحكم الله الذي هو مُقْتَضى ربوبيته سُبحانه وتعالى، لهذا سَمَّى الله المتبوعين بغير حقٍّ أرباباً، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ، فَسمَّى الله المتَبوعين أرباباً حيثُ جُعلوا مُشَرّعين مع الله، وسَمَّى المُتَّبعين عِباداً حيث أنّهم قد ذلّوا لهم وأطاعوهم في مُخالفة حكم الله، وعن عَدي بن حاتمٍ أنّه سَمِع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه الآية: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ والْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰه إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون }، قَال عدي: إنّا لسنا نعبدهم، فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: (أليسَ يُحَرّمونَ ما أحلَّ الله فَتحرمونه وَيُحلّون ما حرّم الله فتحلونهُ)، قال عدي: بَلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فتلكَ عبادتهم) .

هذا الحديث يُفَسّر لنا المعنى المُراد من الآية وكيف أنَّهم اتخذوهم أربابًا من دون الله.

والأدلةُ على وجوب الحكم بما أنزل الله كثيرة، منها قول الله تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }.

وتفصيلُ القولَ في الحُكْم بغير ما أَنزلَ اللهُ والذي قال بِهِ أئمة السلف وعلى رأسّهم: ابن عباس حَبر الأمة وَتُرجمان القرآن ومُجاهدُ وطَاووس أنَّه:

- إذا حَكَم الحاكمُ بغيرِ ما أَنزل الله مع اعتقادهِ بأنَّ الحُكْمَ بما أنزل الله لا ينفع، أو أنَّ الحكم بغيره أفضل، أو أنّه مساوٍ لهُ، أو أنَّ حُكْمَ الله لا يصلحُ لهذا الزمن، أو يعتقدُ جوازَ الحُكم بغير ما أُنزل

اللّه، فهذا يكون كُفره كفراً أكبر مُخْرِجٍ من دائرة الإسلام.

- إذا حَكَم الحاكم بغير ما أنزلَ الله وهو يعتقد أنّ حكم الله أفضل وهو الصَّحيح وأنّ غيره باطل وأنَّ الحكم بغيره غير جائز، وأنّ حُكْم الله هو الواجب لكن غلبتهُ نفسهُ وشهوته، أو حَكَمَ بغير ما أنزل الله لرشوة، فمثل هذا يكون كُفره كفراً أصغر لا يخرجه عن دائرة الإسلام لكنّ صاحبهُ على خطرٍ عظيم.

وهذهِ المسألة مسألة عظيمة تعلَّقت بها فرقةٌ ضالَّة وهي فرقةِ الخوارج؛ فَكفَّرت الحكام بداعي الحُكم بغير ما أنزل الله؛ هكذا من غير تفصيل رَادِّين كلام السلف الصَّالحين والعلماء العاملين، وكفَّروا من تحتَ إمرتهم بمسألة التولي وبعدها خرجوا على أمّة الإسلام بحجةِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فعاثوا في الأرض فسادًا، ولم تجْنِ الأمَّة الإسلامية منهم إلّا الويلات والنَّكبات، لكنَّهم لا يعتبرون؛ فتراهم مستمسكين بغيّهم وباطلهم وما زالوا يَؤُزون أتباعهم أزًّا وإلى جهنَّم يقودونهم وِرْدا، واللّهَ تعالى نسأل أن يكفي الأمة شَّرهم وأنْ يَردّ كيدهم في نحورهم.

ثُم قَالَ الشيخ - رحمه الله -:

[والدليل قولهُ تعالى: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَد تَبَيَّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }، وهذا هُو معنى لَا إِلَٰه إِلَّا الله].

أَي: والدليلُ على وجوبِ الإيمان باللّهِ وحده والكفر بالطَّاغوت هذه الآية التي استدَلّ بها الشيخ - رحمه الله -.

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين) : فَلا يُكْرَهُ على الدخول في الإسلام أحدٌ، لأنَّ الدخول فيه يجب أن يكونُ عن قناعة، فنحنُ ندعو الى الإسلام ونبين للنَّاس، والهداية بيد الله وحده؛ لكن من أصَرَّ على الكفر من أهل الكتاب يُطلب منه دَفع الجِزية، فإن أَبى فإنّه يُقَاتَل.

(قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدِ مِنَ الغَيِّ) : أَي قد تبين الحقُّ من الباطل والإيمانُ من الكُفر، والهُدى من الضَّلال، بالآيات الواضحات والبراهينَ الجَلّيات.

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله)، قَدَّم الكُفر بالطاغوت على الإيمان بالله، والطاغوت هنا تشمل

جميع الطواغيت في العبادة والاتّباع والطاعة؛ كُلهُم يجبُ الكُفر بهم والإيمانُ بالله وحده؛ فلا إيمان بالله دون الكفر بالطاغوت، وهذا معنى لَا إِلَٰه إِلَّا الله كَما قال ذلكَ المؤلف - رحمه الله -، **وهذه هي التَخلية قبل التَحلية، فإنَّ من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت .**

(فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (العُرْوَه الوُثْقَىٰ) : هي التَّوحيد، هِيَ الإسلام الحقّ، الإسلام الذي أُرْسِلَت من أجلهِ الرُّسل، وأُنْزِلت من أجلهِ الكتب؛ وقامت لأجله الجنّة والنّار، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه.

ثُمَّ قَال - رحمهُ الله -:

وفي الحديث (رأسُ الأمرِ الإسلام وعَموده الصلاة وذِروة سنامه الجهاد في سبيل الله).

هذا الحديثُ رواهُ الإمامُ أحمد والتِّرمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه، وهو ضَعيف، فلا يُسْتَدل به، راجع جامع العلوم والحِكم لابن رجب - رحمه الله -، فقد ذكر له عِلتين عند شرحهِ للحديث التاسع والعشرين من شرح الأربعين النووية.

ثُمَّ قال - رحمهُ الله -:

[واللهُ أعْلَم وصَلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم] .

خَتمَ شيخُ الإسلام -رحمهُ الله - رسالته العظيمة بِرَدّ العلم الى الله سبحانه وتعالى فقال: (واللهُ أَعْلم) ثم صلَّى وسلم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا نكونُ قَد انتهينا من التُّعليق على هذه الرسالة العظيمة المباركة؛ فنسألُ الله سبحانه وتعالى أنْ يَرحمَ شيخَ الإسلام وأن يُعظِم أجْرَه ويرفعَ ذِكْره، وأن يجمعنا معه في دار كرامتهِ إنّه جوادٌ كَريم، ونسألُ الله سبحانه وتعالى أَنْ ينفعنا وإيَّاكم بما سَمِعنا، وأن يُهَيّءَ لنا من أَمْرِنا رَشَدا، ونسألُ الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عِبادهِ المُوَحّدين وأنْ يَحْشُرنا مع النَّبيين والصِّدِيقين والشهداءِ والصَّالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقا.

هذا ما تَيَّسَر جمعهُ ونقلهُ وأسألُ الله لي ولكم الإخلاصَ في القولِ والعمل وأنْ يغفرَ الذنب والزَّلل وما

حصلَ من التقصير والخلل، والشكرُ موصولٌ لشيخِنا أُبي الحسن عليٍّ الرمليّ وفقهُ الله وزادهُ من فضلهِ وجَعلَ اللهُ ما قَدَّم وَيُقَدِّم رفعةً لهُ في الدرجات ومغفرةً لهُ من الزّلات والخطيئات وجزاهُ الله خيرًا.

ولكم أنتم كذلكَ يا طلبةَ العلم أسألُ الله لكم الفِقهَ في الدِّين والبصيرةَ واليقين ونفعَ اللهُ بكم وجَزاكم الله خيرا.

والله أعلى وأعلم، والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تَتِمُّ الصالحات، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا أنتَ أستغفرك وأتوبُ إليك.